وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر- سعيدة –

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر ل.م.د

تخصص فلسفة عامة

الموسومة بـ :

أخلاقيّات العقل في الفلسفة التطبيقيّة

- مقاربة نقديّة في المشروع التّطبيقي الكانطي -

إعداد الطالبة:

غويمي كاملة

إشراف الأستاذ:

بن يمينة كريم محمد

السنة الجامعية : 2015 – 2016

إهداء

مَا مَسّني ضُرٌ وَلَا أَصَابَنِي ضِيْقٌ إِلّا وَجَدْتُ فِي صَفَاءِ حُبِّكُمَا مَا يَرُدُنِي إِلَى اِطْمِئنَانِ اَلْنّفْسْ وَيَشِيْعُ اَلْرضَا فِي كَيَانِي فَإِلَيْكُمَا اُهْدِيْ هَذَا اَلْجُهْد أَثَرًا مِنْ فَضْلِكُمَا , نَضَجَ فِيْ ظِل حُبِّكُمَا .

اُمي وأبي

شكر

أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني على إنجاز هذه المذكرة

وأخص بالذكر اُستاذي المشرف بن يمينة كريم محمد على التوجيهات التي رافقني بها في كل

المراحل التي مر بها العمل .

كما أخص بالذكر أيضا الاستاذة بلعز كريمة التي لم تبخل عليا بمعلوماتها ,وبنصائحها .

كما أشكر كل أساتذة قسم الفلسفة وعلى رأسهم

أ.د موسى عبد الله

قبس

" افعل الفعل بحيث يمكن لمسلّمة سلوكك أن تصبح مبدأ تشريع عام "

" افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك باعتبارها دائما ,وفي الوقت نفسه غاية في ذاتها ولا تعاملها أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة "

امانويل كانط, تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ص 4.

مـــــــــقـــــــدمـــــــة

مقدمة

تُعرفُ الأخلاقيّات بأنّها المبادئ الأساسيّة الّتي تقوم عليها القوانين والأعراف وفقًا للقواعد المعمول بها الّتي تلتزم بها الفئات المهنيّة المُتخصِّصة بوصفها قاعدة بنّاءة لضبط السلوك تستهدِفُ تحديد الأفعال والعلاقات ، والسيّاسات الّتي ينبغي اِعتبارُها صحيحة أو خاطِئة ولابدّ لكل ما **"ينبغي"** ، أو ما **" يجب"** في مفهوم الأخلاقيّات من أن يكون مُقنعًا للعقل , وذلك باعتماده على المنطق ، واتصافه بالتّناسُق والتّماسك ، وارتكازه على الحقائِق والمُعطيات الدّقيقة وقابليّته للتّطبيق على النّاس كافّة بالعدل والإنصاف ، حيثُ لا تحُولُ الحدود الجغرافيّة دون تطبيق الأخلاقيّات في أي مكان ، فالنّاس على الرغم من اختلافهم ، وتباين ثقافاتهم إلّا أنّهم جميعًا على قيّم مُعيّنة أهمها **"كرامة الإنسان"** الّتي تُمثِّلُ قيمة لا تقبل المُساومة ، وهذا محور المشروع التّطبيقي الكانطي في إطار سؤال ماهو **الإنسان؟**

حيث الفلسفة **بالمعنى الكوني** In sensu cosmico ، هي في الحقيقة علم علاقة كل معرفة وكُل استعمال للعقل بالهدف الأخير للعقل البشري بصفته هو الأعلى ، لابَدّ من أن تخضع له كل الأهداف الأُخرى ، وأن تنتظم فيه إلى الوحدة ، حيث صاغ كانط ما أسماه الكوزموبوليتي أي ما يُهم **المُجتمع المدني العالمي** Weltbuergerliche Gesellschaft المفهوم المُتعلق بما يهم كل إنسان بالضّرورة مُعتبِرًا أنّ لتشريع العقل البشري موضوعين الطّبيعة والحريّة وبالتّالي :قانون الطّبيعة ، وقانون الأخلاق ، الأوّل يدرس ماهو كائن ، والثّاني ما يجِبُ أن يكون حيث لا يخفى في فلسفة كانط التّفاعل بين الحسّي والعقلي ، ومشروطيّة كلٍ منهما بالآخر لدى الإنسان.

ومن هنا فإنّ الحياة الأخلاقيّة هي **واجبٌ ، أمرٌ ، إلزامٌ ونيّةٌ أخلاقيّة** ، والنيّة هي أن يفعل الفعل بدافع الواجب وليس بدافعٍ من ميل طبيعي وفق حالةٍ أخلاقيّة هي الفضيلة ، لكن ماذا لو روينا قصّة رجل يحب اِمرأته لحد الجنون ، ولكنّ زوجته رافقها مرضٌ خبيثٌ أنهك قواها الجسديّة وفاحت منها رائحة الموت ، لكنّ حبّهما لم يمنعهُما من الاعتراف **"نُحبُ أن لا يستمر أي أحد منّا بعد وفاة الآخر ،وقد قلنا بأنّه لو كانت هناك فُرصة لحياةٍ ثانيّة لتمنّينا أن نعيشها مع بعض".**

يتعلّق الأمر فعلاً **بالحريّة** الأخيرة للإنسان ، **فهل هناك حقٌ في الاختيار الأخير أم أنّ الأمر لا يعدو كونه خرقًا لحق الإنسان في الحياة ؟**، وبالحديث عن الحق في الحياة **ألا يستتبع ذلك الحق في الموت أيضًا ؟**

حقّق التّطور الطبي نتائج مُدهشة في تحسين الصحّة ، ورفع معدّلات الأمل في الحياة والتّخفيف من الألم والمُعاناة بالقضاء على الكثير من الأمراض والأوبئة الّتي كانت تفني الأعمار ونجح هذا التّطوُر في مُواكبة استقلاليّة الفرد وقراره ، لكن ما الحد الفاصل بين الآمال الّتي يسمحُ تطوُر التقنيّات البيولوجيّة بتحقيقها لتخفيف الألم ، والأوهام الّتي تُغذيها هذه التقنيّات

عندما تُلغي الإنسان ، وتعد بتحقيق السّعادة التّامّة والصحّة الدّائمة ، والشّباب المُتجدد ، وتُغذي أوهام السّيطرة؟

البيوطيقا هي المجال الفكري الّذي اتّسم باستعمال تقنيّات الطب الحيوي الحديثة ،والّتي تهدف إلى التّوفيق بين البحث العلمي ،واحترام كرامة الإنسان ، وهذا المجال الفكري خلق فكرة أو مفهوم **الاستقلالية** الّذي تنطوي عليه الذّات الإنسانيّة ، لكن لابدّ لنا من الاعتراف بأنّ مفهوم الاستقلاليّة يجعل **الكرامة** تابعة لامتلاك العقل والسّيطرة على الذّات ، وللقُدرة على المُنافسة حيث يوضع هذا المفهوم على المحك في **الإتيقا** الطبيّة خاصّة لدى المرضى الّذين يُواجهون وضعيّات تسلبهم سيّادتهم على العقل ، وعلى شروطه الضّروريّة كما أنّ التكنولوجيّات الحيويّة والتّطبيقات الطبيّة الجديدة ، وكذلك مُرافقة المرضى المُصابين بأمراض في النِّظام العصبي ،وختام حياة كلها آلام ووحدة تستوجب مُراجعة مفهوم الاستقلاليّة أو الحريّة كما يسميه كانط.

ومن هنا إذا كانت تشتّدُ بك الرّغبة إلى المعرفة الصّحيحة ،وأن تمتزج هذه الرّغبة بالحذر في قُبول ما تقبله فأنت بالتّأكيد ستعتمد على منهج عقلي نقدي، وما دام الموضوع هو العقل يبقى السُؤال في إطاره مطروحًا : **كيف نتحكّم في الأخلاقيّات الجديدة في ظل مواجهة تجاوُزات البيوتكنولوجيا ؟**

إذا كانت المهمّة الفلسفيّة هي التّفلسف ضمن حدود العقل، **فهل البيوتيقا "الأخلاق البايولوجيا" يلزم عليها أن تكون علمانيّة ؟ أم أنّها تخضع للإلزام الأخلاقي وفق المشروع الكانطي؟**

تدور الإشكاليّة حول علاقة المعرفة بالجدل الدّائر في تلبيّة الرّغبة والمُتعة واللذة من جهة والحفاظ على حريّة الإنسان ومعنى إنسانيّته ،وعقلنة ذلك أو فهمه بصورة عقلانيّة ،وبحُكم الفلسفة فكل موضوع يطرقه الباحث فيها يعدُّ تفلسُفًا، وهذا هو أحد أهم الأسباب الذّاتيّة لمُعالجة هذا الموضوع إضافةً إلى ظهور التقنيّة الّتي عملت على تجاوُز الإنسان في حين ينبغي الإشارة إلى أنّ التّجاوُز يعني المُرور عبر هذا الإنسان ، وهذ الأخير مُتعدِّد الجوانب والأبعاد فهو ليس بُعد بيولوجي ، ولكنّه بُعد نفسي، اجتماعي، ثقافي ...،وهو ما ندُر في عصرنا هذا حيث جاء هذا الموضوع كإشارة لتهاون بعض المُمارسين لمهنٍ حسّاسة كالطب وهذا لتسليط مزيدٍ من الرّقابة ولكن حبّذا لو كانت هذه الرّقابة هي **الضّمير** ، وما أعيبه على نفسي هو أنّني حاولت جاهدةً الكتابة في موضوع ضخم في صفحات قليلة جدًا ، أمّا من حيث الدّوافع والأسباب الموضوعيّة فهو أنّ هذا الموضوع هو موضوع العصر خاصّة في ظل تفاقم الأزمات وسُقوط جميع الحواجز الميتافيزيقيّة والطّبيعيّة ، وبدونهما يُطرحُ سُؤال **ما السّبيل لحماية الإنسان من تداعيّات الأبحاث العلميّة على النّوع البشري ؟**

إضافةً إلى أنّ الفكر الحداثي لم يُتح له التّطور والتّعمُق في مُجتمعاتنا العربيّة وثقافتنا بالشّكل الّذي يُسهم فيه المواطنين بوعي لما يُطرح عليهم من مُستجدّات وقضايا ،وهذا ما سيبدو واضحًا في الموضوع إمّا لأنّها مُحرّمة ، وطابوهات لا ينبغي أن تُكسر أو مسكوتٌ عنها ، كما أنّ المقولة اليونانيّة **"اعرف نفسك بنفسك"** لم تُوظّف على الصّعيد العربي بالشّكل الّذي يُعبّرُ عنها كونها تُعبّر عن كرامة الإنسان وحريّته في طرح تساؤلات لا يُمكن تقييدها بأسباب مُسبقة حيث لم أغفل جهود القُدماء في هذا المجال خُصوصًا ما تعلّق بالمسؤوليّة والأخلاق مثال ذلك

قسم بُقراط ولم أُفرّط في ما جاء به بعض المُحدثين من مُفكرين وكُتّاب وفلاسفة ، وتكمُنُ أهميّة هذا الموضوع بالنسبة لي في أنّنا بحاجةٍ كبيرة لمعرفة مسائل البيوتيقا ، وما جلبته التقنيّة من رهانات إضافةً إلى أهميّة العقل وطُرُق استعماله في الحياة .

واتّبعتُ في ذلك منهجين :

المنهج التّاريخي : وذلك في استرداد تاريخ بعض المفاهيم وتركّز هذا بصفةٍ واضحة في الفصل الأوّل بعنوان : من الفلسفة إلى الفلسفة التّطبيقيّة : مُقاربات مفاهيميّة ، حيث رجعتُ في ذلك للمعاجم والموسوعات والقواميس.

المنهج التحليلي : استعملت فيه التحليل والتّعقيب على العديد من المسائل ، وبرز هذا بصفة جليّة في الفصلين الثّاني والثّالث ، وتوسّعتُ باستخدامه بربط بعض المواضيع بواقعنا المعيش ، ورجعتُ في استخدامي لهذا المنهج إلى كُتُب حديثة تتصدّرها استشهادات من القرآن الكريم واجهتُ صُعوبات جمّة أبرزُها :

- الموضوع جديد على السّاحة الفلسفيّة ما ضيّق في نظري سَبّل طرقه بوُضُوح .
- صُعوبة العثور على المصادر الأصليّة خاصّةً للفيلسوف كانط ، وحتّى إن عثرت عليها فجهلي باللغة الألمانيّة يحول دون قراءتها .
- كثرة الآراء في المراجع ، وتشعُبّها صعّب عليّ معرفة الرّاجح منها ، خاصّة في الفصل الثّاني من الموضوع.

صُغت عنوان المذكرة: أخلاقيّات العقل في الفلسفة التّطبيقيّة وعنوان فرعي مُقاربة نقديّة في المشروع التّطبيقي الكانطي ، وقد جاء العنوان الفرعي على هذا النّحو أي المشروع التّطبيقي الكانطي لأنّني في العنوان الأساسي قُلتُ أخلاقيّات العقل ، وكلمة أخلاقيّات تتوافق مع عبارة المشروع التّطبيقي الكانطي.

اعتمدت خطة أو هيكل للموضوع سار على النّحو التّالي :

مقدمة ناقشت فيها مفهوم الأخلاقيّات الّتي تستهدف " ما ينبغي" الّذي ينبغي أن يكون مُقنِعًا للعقل في ظل تعارُض الحريّة مع السّيطرة ,وما تطرحُهُ من أوهام ،ألحقتُها **بالفصل الأوّل** بعنوان من الفلسفة إلى الفلسفة التّطبيقيّة مقاربات مفاهيميّة ، وتضمّن أربعة مباحث على النّحو التّالي **المبحث الأوّل** بعنوان الفلسفة النّشأة والمفاهيم والمابعد، جرى الحديث فيه عن مفهوم الفلسفة بأخذ نماذج من اليونان ، والفلاسفة المسلمين، وبعض فلاسفة العصر الحديث ومفهومهم للفلسفة و**المبحث الثّاني** بعنوان الأخلاق|الإيتيقا التّصور والتّوجهات والنّظريّات ،تحدّثت فيه عن أهميّة الأخلاق بعد التّطرق لمفهومها لغة واصطلاحا، وكذا اعتبارها مُوجّهة للفعل الإنساني لأنّها تفكيرٌ حي مُرتبط بالعقل ، و**المبحث الثّالث** بعنوان الأخلاقيّات|البيوتيقا (الأخلاق التّطبيقيّة) ، سعيت في هذا المبحث إلى تجاوز المفهوم بعرض موجز له ، وتطرّقت لمخلّفات الثّورة البيولوجيّة.

أذكُر على سبيل المثال : التّأثير على العوامل الوراثيّة للإنسان والأبحاث الكيمياحيويّة على الدماغ ، و**المبحث الرّابع** بعنوان العقل بين الفيلولوجيا والبيولوجيا والأكسيولوجيا،

وعالجت مفهوم العقل بتحديده لغويًا وفلسفيًا من وجهة نظر فلاسفة مُتعددي المذاهب والمواقف ، أمّا **الفصل الثّاني** أخذ عنوان الفلسفة التّطبيقيّة وقضايا العقل: مقاربات معاصرة، وتضمّن خمسة مباحث كالتّالي :**المبحث الأوّل** بعنوان إشكالات العقل في الفلسفة التّطبيقيّة ، وحصرتُها في المسؤوليّة ،ما يترتّب عليها من عقوبات متفاوتة في حال الإخلال بها ، خاصّة في حالة الخطأ و**المبحث الثّاني** تضمّن أخلاقيّات الجراحة العصبيّة ، وضعت فيه جدولا لإيضاح بعض المفاهيم ودلالتها مثل : **العقل** ، **الوعي** ، **الدماغ** ، **الذهن** ،**الفكر**، وتحدّثت عن محاولات التّصرف في الجهاز العصبي وخطورتها وما ينجم عنها من مسائل خطيرة متعلقة بالشّخصيّة والكرامة والحقوق وأضرار خطيرة جدًا لا رجعة فيها بالنسبة لمن يُجرى عليهم مثل هذا النّوع من العمليّات وبُروز **التّأمين** كوسيلة من وسائل مواجهة الخطر، و**المبحث الثّالث** بعنوان أخلاقيّات الأدوية والجهاز العصبي تطرّقت في هذا المبحث لمفهوم **الدّواء** ، وكيفيّة العلاج به ، واختيّار وزنه ، وقانون وقته، وتحدّثت عن الدّواء الموصوف من طرف الطّبيب وخطورته ،والدّواء بدون وصفة ،وفي هذا السيّاق عالجت مسألة المُخدرات وخطورتها على المجتمع مع الإشارة إلى جوانب أخلاقيّات مهنة الصّيدلي ، وأرفقت هذا المبحث بجانب تطبيقي لعائلة أدويّة عصبيّة تسمّى **مضادّات الإكتئاب Les Benzodiazépines(BZDs)** ، وتأثيرها على الجهاز العصبي المركزي لدرجة حظر استيراده من طرف بعض الدوّل لخطورته وتصنيفه ضمن قائمة المخدرات ،واستعنت في ذلك بمجموعة طلبة في قسم الصّيدلة لجامعة سيدي بلعبّاس جيلالي اليابس (الجانب التّطبيقي وضعته في الملاحق)، و**المبحث الرّابع** : الموقف الإيتيقي من **موت** الدماغ ، وتحدّثت في هذا المبحث عن مفهوم الموت ،ومسائل تتعلّق بإنهاء الحياة وتحديد لحظة الوفاة وموت الدماغ ،أو ما يُسمّى **بالحالة النّباتيّة** والموقف المُتّخذ في مثل هذه الحالات شرعًا وطبًا في تقرير ما إذا كان موت الدماغ هو معيار جديد للموت؟ ،و**المبحث الخامس** : الممارسة الأخلاقيّة مع المرضى النّفسانيين والعقلانيين ، وتحدّثت فيها عن طريقة التعامل مع المرضى النّفسانيين والعقلانيين والاعتناء بهم بحفظ أسرارهم كجزء من الحفاظ على **السر المهني** ، أمّا **الفصل الثّالث** المشروع التّطبيقي لامانويل كانط ،تضمّن خمسة مباحث على النّحو التّالي: **المبحث الأوّل** بعنوان كانط امانويل "السيرة والمنهج والتّوجهات" ، تحدّثت فيه عن السيرة الذّاتيّة للفيلسوف .

حيث حصرتها في ثلاث فترات :**الفترة الأولى :** "ما قبل النّقديّة" 1747-1770، **الفترة الثّانيّة** : "العشريّة الصّامتة" 1770-1780 ، **الفترة الثّالثة** : "الفترة النّقديّة" وتبدأ من 1781 وحصرت مؤلّفاته بالتّركيز على مؤلّفاته النّقديّة ، حيث الملكة الذهنية ملكة **المعرفة** تعتمد على **الفهم** وتتوافق مع **القانون** ، وهي من نتاج **الطّبيعة** ، والملكة الذهنيّة **اللذة والألم** تعتمد على **ملكة الحكم** وتقوم على **الغرضيّة** , وهي من نتاج **الفن والجمال** ، أمّا ملكة **الرغبة** تعتمد على **العقل** وتتوافق مع **الغرضية** الّتي هي قانون في الوقت نفسه **(الإلزام)** ، وهي من نتاج **الأخلاق والمبحث الثّاني** أخذ عنوان كانط والفلسفة التطبيقيّة "نصوص وقراءات وتحليلات" ، لمست فيها الجوانب التّطبيقيّة في فلسفة كانط بالحديث عن الواجب ، ومفهوم الكرامة الإنسانيّة والحريّة وعلاقة كانط بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، و**المبحث الثّالث** بعنوان **العقل الكانطي** (نظريّات وتطبيقات) ، استهليت هذا المبحث بنص لكانط عن مفهوم العقل عند كانط ودعوَتهُ لإعمال العقل بقوله **"كن جريئًا في استعمال عقلك أنت!** ، عرّجت على بعض الجوانب من كتبه النّقديّة الثّلاث الّتي تتحدّث عن مفهوم العقل ، **المبحث الرّابع** أخذ عنوان

موقف الفلاسفة المعاصرين من تطبيقات كانط ، وتضمّن قراءة فلاسفة ما بعد الحداثة للفلسفة الكانطيّة أمّا **المبحث الخامس** فوضعت له عنوان ما بعد كانط **(استثمار المشروع الكانطي تطبيقيًا)** ، يبقى **"النّقد"** هو الموروث الثّمين من فلسفة كانط الّذي يجب تفعيله في قصّة الحياة وتطوراتها ، ختمت بحثي بجملة استنتاجات خلصت بها من هذا الموضوع ، ثمّ وضعت قائمة للمصادر والمراجع المعتمدة في البحث ألحقتُها بفهرست لكل ما ورد في الموضوع من عناصر.

وَبِهَذَا أَكْمَلْتُ بَحْثِي ، وَيَبْقَى اَلْكَمَالُ لله وَكُلُ جُهِدٍ مَهْمَا بَلَغَ مِنْ نَجَاح مَحْدُوْدٌ بِحُدُوْدِ مَا وَهَبَهُ الله لِصَاحِبِهِ.

الفصل الأول

من الفلسفة إلى الفلسفة التطبيقية

[مقاربات مفاهيمية]

1-1- الفلسفة : النّشأة والمنهج والمفاهيم والمابعد.

1-2- الأخلاق/الإيتيقا : التّصور والتّوجهات والنّظريّات.
1-3- الأخلاقيّات/البيوتيقا : الأخلاق التّطبيقيّة.
1-4- العقل بين الفيلولوجيا والبيولوجيا والأكسيولوجيا.

الفصل الأوّل : من الفلسفة إلى الفلسفة التطبيقية [مقاربات مفاهيمية]

من الطبيعي أن يتساءل الإنسان عن كل ما يحيط به، فيبحث عن سبب الظواهر الطبيعية وأسباب الأمراض وهذا ما يعتبر تفلسفًا بالمعنى العام ، أمّا المعنى الخاص فهو سلوك طريق الفلاسفة في التفكير فما هو هذا الطّريق ؟ يهدف الفيلسوف من وراء تساؤلاته إلى معرفة حقائق الأُمور وأسبابها البعيدة والتعمق في كل هذا إلى أقصى الحدود ، دون أن يتعجّل اليقين وأن يبتعد عن الغموض والتناقض ، ولكي تكون فيلسوفا ينبغي أن تشتدّ بك الرّغبة إلى المعرفة الصّحيحة وأن تمتزج هذه الرّغبة بالحذر في قبول ما تقبله وبهذا يتميّز الفيلسوف عن غيره بإثارته لمسائل لا يتوقّف عندها كثيرًا عامّة النّاس معتمدًا في ذلك على منهج عقلي نقدي ،وعليه ماهي الفلسفة؟

المبحث الأوّل: الفلسفة: النّشأة والمنهج والمفاهيم والمابعد

أخذ مفهوم الفلسفة عدة أشكال ومعانٍ، بدءًا من الفلسفة اليونانية مرورًا بفلسفة العصور الوُسطى ثمّ الحديثة إلى الفلسفة المعاصرة ، والبحث في معنى الفلسفة ومفهومها وحدودها مهمة شاقّة وعسيرة ، والإجابة عنها من أصعب الأُمور لأسباب عدّة منها:

1) عدم وُجود تعريف محدّد لها ، فقد أخذ لفظ فلسفة العديد من المعاني حسب كل عصر ولا توجد صفة شاملة ومعبرة ، ومعترف بها ترتبط وحدها بهذا المفهوم.
2) مفهوم الفلسفة ذاته يُعد موضوعًا فلسفيًا .

تُعد الفلسفة نشاطًا،طريقةً في التفكير في أنواع بعينها من المسائِل ، وأهم ما يُميزها استعمالها للبُرهان المنطقي ، وهي عبارة عن تراث فكري بدأ مع الإغريق وازدهر في القرن العشرين يتضمّن مسائل معيّنة منها: مسائل حول الدين ، والصّواب والخطأ ، والسيّاسة وطبيعة العالم الخارجي، والعقل والعلوم ، والفنون وغيرها من الموضوعات ،إذ نجد غالبيّةالبشر يعيشون حياتهم من دون مناقشة ما يعدونه من معتقداتهم الأساسيّة من قبيل أنّ القتل خطأ(1).

سؤال لماذا القتل خطأ؟ وماهو مبرر قولنا أنّ القتل خطأ ؟ وهل هو خطأ في كل ظرف ؟ وما الّذي أعنيه بقولي إنّه خطأٌ من الأصل ؟ تُعدُ هذه الأسئلة فعل التفلسف الّذي تعنيه الفلسفة باعتبارها تفكيرٌ عقلانيٌ مُقابل التّفكير الأُسطوري الّذي كان سائِدًا عند اليونان قبل ظهور الفلسفة حيث لم يبرز هذا النّشاط أو فعل التّفكير ،أو التّفلسف إلّا كنتيجة لعوامل أهمها: العامل

1() نيغيل واربورتون ، الفلسفة الأُسُس ، ترجمة محمّد عثمان ، مراجعة سمير كرم ، الشّبكة العربيّة للأبحاث والنّشر ، بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص ص 14، 18.

السيّاسي الّذي تمثّل أساسًا في انتقال الحُكم من النظام الديكتاتوري إلى النظام الديمقراطي الّذي تميّز بحريّة التّعبير وطرح كل القضايا للنقاش العلني .

والفلسفة: **في الفرنسيّةphilosophie**

في الإنكليزيّة philosophy

في اللّاتينيّة philosophia

لفظٌ مشتقٌ من اليونانيّة وأصله (فيلا صوفيا) ، ومعناه **محبّة الحكمة** ، ويطلق على العلم بحقائق الأشياء ، والعمل بما هو أصلح(1).

وقبل ذلك ظهرت الفلسفة في بلاد اليونان القديمة حوالي القرن 06 ق.م ، مع الفلاسفة الّذين ينعتون بالطبيعيين أمثال: **طاليس** Thalès de milet ، **انكسمنس** Anaximène de milet **وانكسمندر**Anaximandrede miletAnaximandrede milet ، وقد سموا بذلك الاسم لأنّ تفكيرهم انصبّ حول البحث في الطّبيعة ، وأصل الكون وقد ظهرت كلمة فيلوسوفوس مع **فيثاغورس** Pythagore-Pythagoras(582ق.م – 497ق.م)(2) ، الّذي سمّى نفسه فيلسوفًا ،أي محبًا للحكمة وباحثًا عن المعرفة بحيث ظهرت كتمييز للفكر العقلاني عن الفكر الأُسطوري أو ما يسمّى Logos مقابل Mythos.

---

(1) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة واللّاتينيّة ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، بيروت لبنان ، ج2 ، 1982 ، ص160.

(2) الصّاوي الصّاوي أحمد ، الفلسفة الإسلاميّة مفهومها أهميّتها ونشأتها وأهم قضاياها ، دار النّشر للتّوزيع والنّشر ، جامعة قناة السويس ، 1998 ، ص5.

وقد أُطلق هذا اللّفظ قديمًا على دراسة المبادئ الأُولى ، وتفسير المعرفة عقليًا فتشمل عند **أرسطو** Aristot (384 ق.م-322ق.م) الفلسفة النّظريّة والعمليّة ، وقصرها الرواقيون على المنطق

والأخلاق والطّبيعة(1) ، وهذا المخطّط يُوضح تقسيم أرسطو للعلوم وهو كالتّالي:

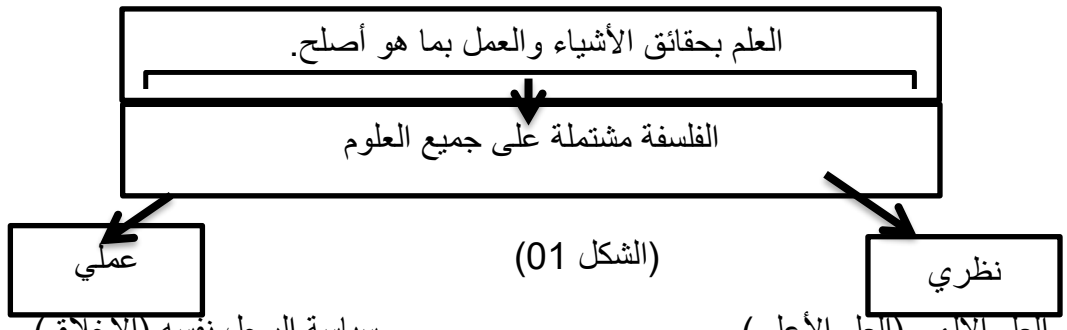

(الشكل 01)

العلم الإلهي (العلم الأعلى) سياسة الرجل نفسه (الأخلاق)

العلم الريّاضي(العلم الأوسط) سياسة الرجل أهله(تدبير المنزل)

العلم الطّبيعي(العلم الأسفل) سياسة المدينة والأمّة والملك

منذ القرن 19 انفصال العلوم عن الفلسفة (الشكل 02)

دراسة المبادئ الأُولى الّتي تفسر المعرفة تفسيرًا عقليًا كفلسفة العلوم ، وفلسفة الأخلاق ، وفلسفة التّاريخ ، وفلسفة الحق .

مجموع الدراسات المتعلقة بالعقل من جهة ما هو متميّزٌ عن موضوعاته

أصل المعرفة وقيمتها البحث في قيمة المعرفة

ماذا يمكن أن نعلم؟ ماذا يجب أن نفعل؟(2).

---

(1) إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، مجمّع اللغة العربيّة ، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة 1403هـ|1983م ، ص138.

(2) جميل صليبا، المرجع السابق ، ص 160 ،161 ،162.

الفرق بين الفلسفة والعلم

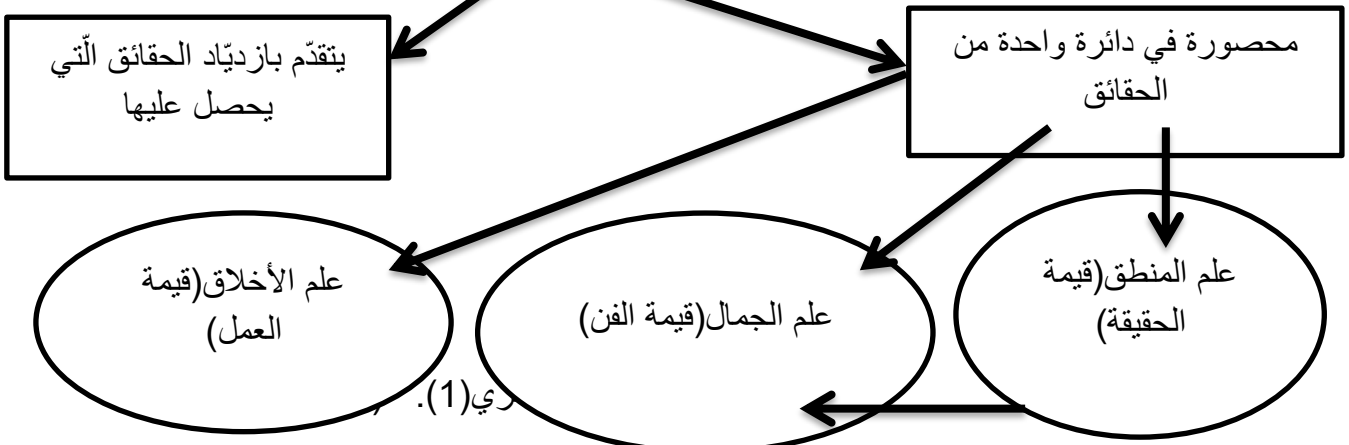

ري(1).

تأخذ الفلسفة تعريفات متعددة سيتم التطرق لبعضها:

عرّف **طاليس** اليوناني الفلسفة بأنّها "معرفة أصل الأشياء"(2)، وهذا التعريف ليس غريبا بحكم أنّ الفيلسوف هو أحد الفلاسفة الطّبيعيين ، كما أثّر سقراط على الفلسفة اليونانيّة بشكلٍ واضحٍ وربّما تكمن أهميّته في شخصيّته الفريدة وطريقته في عرض أفكاره عن طريق إدراكه بجهله الشّخصي وبالتّالي رُؤيته أنّ من واجبه أن يكشف لكل من حوله عن جهلهم أيضًا ، وذلك من خلال محاوراته الّتي عادةً ما تبدأُ بفرضيّة معيّنة يطرحها سقراط أو المتحاور " منهج التهكم والتوليد " أو ما يُعرفُ بتوليد الأفكار كفكرة العدل أو الشّجاعة ، أو القانون ليمتحن هذه الفرضيّة لإثبات خطئها ، وطرح غيرها وهكذا للوُصول إلى التّعريف الّذي يراه صحيحًا ، وقد جاء تعريف الفلسفة لديه على النّحو التّالي : الفلسفة هي البحث العقلي عن حقائق الأشياء المؤدي إلى الخير ، وهي تبحث عن الكائنات الطّبيعيّة وجمال نظامها ، ومبادِئها ، وعلّتها الأولى(3).

(1) جميل صليبا، المرجع السابق، ص161.
(2) الصّاوي الصّاوي أحمد، المرجع السّابق، ص06.
(3) مصطفى حسيبه ، المعجم الفلسفي ، دار أسامة للنّشر والتّوزيع ، الأردن ، عمّان،ط1، 2009 ص470.

تُعَدُّ الفلسفة معرفة ناشِئة عن العقل ، ونظر في الموجودات بالعقل وغايتُها ليست المظاهر أو الظّواهر كما نُدرِكُها بالحواس ، وإنّما البحث فيما يجبُ أن يكون من معرفة ، ومن هنا فالمعرفة الفلسفيّة بالوُجود ليست حدسيّة مُعطاة إنّها تفكير ، وما يقتضي التّفكير من شك واِعترافٍ بالجهل ، وفُضول في معرفة الحقيقة الكامنة وراء الظّواهر .

دفع **سقراط** حياته ثمنًا للفلسفة ، وهو ما يجعل تلميذه أفلاطون يتأثّر به تأثرًا كبيرًا خاصّة بعد الحُكم الجائر الّذي صدر في حقه ما جعله يعي أنّ الدّولة محكومة بشكلٍ سيء ، حيث أوجد طريقة الحوار الّتي عبّر من خلالها عن أفكاره عن طريق شخصيّة سقراط ، يتجلّى مفهوم الفلسفة لديه "أنّها البحث عن حقائق الموجودات ونظامها الجميل لمعرفة المُبدع الأوّل ولها شرف الرئاسة على جميع العلوم"(1).

على الرغم من أنّ الفلسفة هي نظر كالعلوم إلّا أنّها نظر يختلف من حيث الغاية ، فهي تبحث عن العلل الأولى وليس الأسباب القريبة كما هو حال العلم ، وإن كانت الفلسفة والعلم عند الإغريق لم يعرفا الاستقلالية الّتي عرفها كل منهما في العصر الحديث .

من أكاديميّة **أفلاطون** إلى اللوكيوم الّذي أسّسه **أرسطو** كتعبير عن هجرة للأكاديميّة وقد حقّق نتائج مُختلفة ومتعددة في ميدان البحث البيولوجي والتّاريخي يُعرفُ الفلسفة بأنّها : "العلم العام وفيه تعرّف موضوعات العلوم كلها فهي معرفة الكائنات وأسبابها ومبادئها الجوهريّة وعلّتها الأولى"(2).

المُلاحظ والعلم واحد بالنسبة لأرسطو وما يميز الفلسفة هو كونها ترتقي بالعلم فيما تُريد بلوغه من غاية وشرف المعرفة الّتي تطلبها لذاتها ، وليس كوسيلة ، أو ما يمكن أن يترتّب عنها من منفعة عمليّة والفلسفة بحث فيما ينبغي أن يكون في مقابل العلم الّذي يعرف بأنّه البحث فيما هو كائن.

(1) مصطفى حسيبه ، المرجع السّابق ، ص470.
(2) مصطفى حسيبه، المرجع نفسه، ص 470.

وما أن تُرجمت الفلسفة بوصفها يونانيّة المنشأ مع غيرها من العلوم ، وأصبحت في حوزة المسلمين حتّى اختلف علماء المسلمين في موقفهم منها ، ولكن هذا لا يعني أنّهم بوّابة عَبَرَ عليها هذا التراث من اليونانيّة القديمة إلى أُوربا في العصور الوسطى وما أعقبها من عصور ومن يقف على شروح الفلاسفة المسلمين يلمس ابتكاراتهم الّتي تكشف عن أصالتهم فهذا **الفارابي** (257ه-339ه|950م) مثلا يُعرف الفلسفة بأنّها : "العلم بالموجودات بما هي موجودة"(1).

يرى أنّ الفلسفة على الحقيقة هي القسم الإلهي ، وأكّد كسلفه الكندي على أنّ الفلسفة الأُولى أشرف أنواع الفلسفة ، وقد استعمل **الفارابي** في مواضع كثيرة من كتبه كلمة حكمة بدلاً من فلسفة يقصد بالفلسفة عنده معرفة الخالق تعالى(2).

لاشكّ أنّ **الفارابي** كغيره من الفلاسفة المسلمين جعل الفلسفة قسم إلهي ، وأكّد على أنّه أشرف أنواع الفلسفة لأنّه يبحث في معرفة الخالق .

وفي نفس السيّاق يُعرِّفُ **أبو علي ابن سينا** (370ه-980م|428ه-1037م) الفلسفة أو الحكمة بأنّها صيّاغة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه ، وما الواجب عليه عمله ممّا ينبغي أن يكتسب فعله ، لتشرف بذلك نفسه ,وتستكمل وتصير عالمًا معقولا ، مُضاهيًا للعالم الموجود ، وتستعِدُّ للسّعادة القُصوى في الآخرة وذلك بحسب الطّاقة الإنسانيّة" ، هذا المفهوم للفلسفة الّذي قال به ابن سينا لا يخرج عن كونه حكمة ولكن تتناسب مع مُقومات الشّريعة الإسلاميّة.

وهذا ما نجده أيضًا عند **الشّريف الجرجاني** بقوله : "الفلسفة التّشبه بالإله بحسب الطّاقة لتحصيل السّعادة الأبديّة كما أمر الصّادق صلّى الله عليه وسلّم في قوله : " تخلّقوا بأخلاق الله " أي تشبّهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتّجرد عن الجسميّات (3).

---

(1) مصطفى حسيبه ، المرجع السّابق، ص 470.
(2) الصّاوي الصّاوي أحمد، المرجع السّابق، ص09.
(3) الصّاوي الصّاوي أحمد، المرجع نفسه، ص10.

لفظ الفلسفة عند الفلاسفة المسلمين يعني به الحكمة والحكمة في حد ذاتها مطلوبة لكل إنسان ولهذا نرى أنّ مفهومها بمعنى الحكمة لا تتعارض مع الشّريعة الإسلاميّة ، وهي لم تُفارق عصرًا.

يحتل الفيلسوف **رينيه ديكارت** مكانة بارزة في العصر الحديث حيث يقول الفيلسوف الفرنسي **" إنّ لفظ الفلسفة معناه دراسة الحكمة "** حيث قدّم ديكارت فلسفة تختلف عن فلسفة **أفلاطون** و**أرسطو** إلى حد بعيد ، وهذا التّجديد الحقيقي الّذي استحدثه **ديكارت** في الفلسفة لم يكن على مستوى التّعريف ولا على مستوى التّقسيم ، ولا في النّظرة الكليّة الشّاملة إليها وإنّما يتّسم هذا التّجديد في المنهج وفي القواعد الأساسيّة الّتي اشتمل عليها منهجه بحيث تُعنى الفلسفة عنده بدراسة الحكمة بمعناها الواسع معرفة كاملة لكل ما يستطيع الإنسان الوصول إليه عن طريق الاستنباط من العلل الأُولى ويُقسِّم الفلسفة إلى قسمين :

(الشكل04)

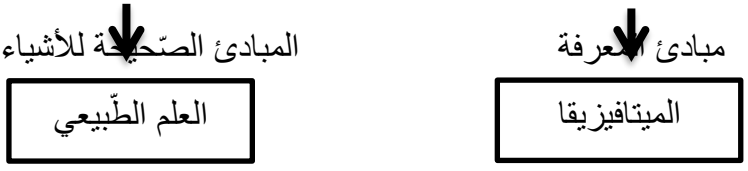

صفات الله وروحانيّة نفوسنا فحص تركيب العالم على وجه العموم (1).
وفي نفس السيّاق **نجد لوك** John Locke (1632-1704) يُعرِّف الفلسفة بأنّها :" دراسة العقل البشري "(2).

إذ يقوم العقل بدور هام وإيجابي في إيجاد الأفكار الّتي جعلها محور كتابه " مقال في الفهم (العقل)الإنساني " ، وبالتّالي محور نظريّته المعرفيّة ، فالأفكار هي موضوع للانتباه أو الوعي يجب أن يكون فكرة (3).

---

(1) إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر الإسكندريّة ، د.ط، 2000، ص ص 75 ، 76.
(2) مصطفى حسيبه، المرجع السّابق، ص 470.
(3) إبراهيم مصطفى إبراهيم ، المرجع السّابق ، ص 263.

يعتبر **لوك** الأفكار ليست فطريّة وإنّما كل أفكارنا مُشتقّة من الخبرة الحسيّة ومصدرها أفكار الإحساسات ، وأفكار الاستنباط أو التأمل ، وتنقسم إلى أفكار بسيطة وأفكار مُركّبة . الحديث عن الفلسفة يعني الحديث عن العقل ولا يتم الحديث عن ذلك دون فيلسوف التّنوير **إيمانويل كانط** الّذي يُعرِّف الفلسفة بأنّها : " علم العلاقة بين كل المعارف والغايات الجوهريّة للعقل البشري " ، أو الحب الّذي يُكِّنُه الكائن العاقل للغايات العُظمى للعقل البشري "(1).

وفي هذا التّعريف صراع مزدوج ضدّ التّجريبيّة وضدّ العقلانيّة الدوغمائيّة فبالنسبة للتّجريبيّة ليس العقل ملكة الغايات ، أمّا العقلانيّة فتعترف من جهتها بلا ريب أنّ الكائن العاقل يُلاحق غايات عقليّة بالضّبط لكن ما يُدركه العقل هنا كغاية إنّما هو شيء خارجي وأعلى كينونة (خير).

أمّا **هيجل** Hegel, Georgwlhelm friedrich(1770-1831) فيُعرف الفلسفة بأنّها : معرفة الحقائق الثّابتة (2) ، يُعطي هذا التّعريف معنى مثالي للفلسفة ، وإن كانت الفلسفة لا تملك تعريفًا فهي ليست علم وإن قُلنا مفهومًا فإنّها تأخذ العديد من المفاهيم ، وبالتّالي الفلسفة ليست معارف ثابتة لأنّ كل فلسفة تُزيحُ الأُخرى وتُناقِضُها ، فهذه تُؤمن بشيء معيّن وتتبنّاه والأُخرى لا تُصدِّقُه أساسًا مع العلم أنّ كل فلسفة تُزاحُ لا تذهب إلى العدم ، وما هو مُلاحظ أنّ الفلسفة تأخُذ معناها حسب ما استُجِّدّ في العصر ، وهو كذلك في العصر المُعاصر حيث نجد **هوسرل** Husserl ,Edmund(1859 – 1938) يُعرِّفُ الفلسفة بقوله "إنّ الفلسفة علم" ، هذا ما سيكتُبُه **هوسرل** في عام 1911 في مقال مشهور في مجلّة لوغوس بعنوان الفلسفة كعلم صارم، وإنّها لَعِلْمٌ لأنّ هناك فيما بعد الانطباعات الحسيّة ديمومة وموضوعيّة للماهيّات وعالمًا من العلاقات المُتعاليّة يُمكن إدراكه بحدس الماهيّات ,وكل إدراك إدراك لمُدرك، وكل وعي وعي بشيء ما (3).

---

(1) جيل دولوز ، فلسفة كانط النّقديّة ، تعريب أُسامة الحاج ، المُؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417هـ|1997م ، ص5.
(2) مصطفى حسيبه ، المرجع السّابق ، ص470.
(3) جورج طرابيشي ، مُعجم الفلاسفة (الفلاسفة ، المناطقة ، المتكلمون ، اللّاهوتيون ، المتصوفون) دار الطّليعة ، بيروت ، ط3 مفهرسة ، 2006 ، ص712.

يُعرِّفُ **هوسرل** الفلسفة في موضعٍ آخر بأنّها : "من حيث جوهرها علم بالمبادئ الحقيقيّة و بالأصول ، وبجذور الكل ، وعلم ماهو جذري يجب أن يكون جذريًا من كل ناحيّة ومن كل الاعتبارات" (1).

وبهذا يحصر الفلسفة في الأشياء الحسيّة ، ويُبعدها كل البُعد عن "الميتافيزيقا" ، ومعرفة الغيبيّات

من أهم وظائف الفلسفة القديمة كما جاء في التّعريفات السّابقة .

للفلسفة قصّة طويلة بدأت مع اليونان في القرن 06 ق.م ولا زالت مستمرّةً إلى الآن ، وطيلة تاريخها عرفت تحولات فكريّة تجلّت في ظهور عدّة فلاسفة وعدّة مذاهب ، واتجاهات فلسفيّة وقد كان التّفكير الفلسفي دائمًا مُرتبِطًا بقضايا عصره ، ويعكس الهموم والقضايا الّتي عرفها ذلك العصر ، وبهذا لا يوجد تعريف أو مفهوم أو مصطلح يُمكن أن نقول عنه أنّه هو الفلسفة ذلك لأنّ كل موضوع في الفلسفة هو موضوع للنِّقاش والخلاف حتّى اليوم ، ومن ثمّ أي إجابة في الفلسفة تُمثِّل وجهة نظر واحدة من بين ما لا يُحصى من وِجهات النّظر.

---

(1) مصطفى حسيبه ، المرجع السّابق ، ص 471.

المبحث الثّاني: الأخلاق | الإيتيقا: التّصور والتّوجهات والنّظريات

اِهتمّ الفكر الفلسفي بسُؤال الأخلاق في إطار تحديد القيّم العليا المُوجِّهة للفعل البشري ولتحديد الغايات من هذا الفعل ، من مُنطلق أنّ سلوك الإنسان مشروط بمُثُل أخلاقيّة تُنظِّم علاقته بالغير هذه المُثُل مكّنت الإنسان من التّحرر من غرائزه وأهوائِه (كالعنف...)، وقد عمل المُجتمع على ترسيخ هذه المُثُل والقيّم ، بل جعلها مُلزمةً للأفراد كحتميّة سلوكيّة مفادها أنّ الإنسان لم يبدأ حياته مُتوحِّشًا مُجرّدًا من الأخلاق فالأقوام البدائيّة أعرقُ أخلاقًا ، وإن صحّ التعبير فالحضارة هي من أفسدت الكثير من المعاني الخُلُقيّة الّتي كانت سائِدة في العُصور البِدائِيّة ، فحتّى الحيوان لا يخلو من بعض المعاني الخُلُقيّة ، فنجد جميع أنواع الحيوانات تُدافع عن صغارها ، بل وكثير منها لا يتعدّى على الإنسان إلّا دفاعًا عن النّفس أو لدفع غائلة الجوع وهذا عكس الإنسان الّذي نجده أحيانًا يتعدّى على غيره وهذا ضريبة العقل الّتي ميّزته عن الحيوان وورّثته المخاوف والهُمُوم فعقل الإنسان محسوبٌ له وعليه ، هكذا يُمكن أن نتطرّق لمفهوم الأخلاق في اِرتباطاته الإشكاليّة بالفرد والمُجتمع ، وفي اِرتباطاته الدّلاليّة بمجموعة من المفاهيم المُجاورة له كمفهوم الواجب والسّعادة والحريّة بطرح السُؤال التّالي : كيف يُمكن للتّقييد بالواجبات الأخلاقيّة أن يكون سبيلاً لتحقيق سعادة الإنسان وحريّته؟

أخلاق Morales ,éthiques, savoir vivre

الأخلاق في الفرنسيّة Morale , Ethique ، الأخلاق في الإنكليزيّة Moral , Ethics
الأخلاق في اللّاتينية Moralis (1).

الأخلاق في اللغة جمع خُلُق وهو العادة ، والسجيّة والطّبع ، والمُروءة والدين ، وعند القُدماء ملكة تصدُر بها الأفعال عن النّفس من غير تقدّم رويةّ فكر وتكلف ، فغير الرّاسخ من صفات

---

(1) مجموعة باحثين ، فريال علوان وجورج سيمون ، محمّد سعيد وميشال ساسين ، القاموس عربي فرنسي قاموس عام لغوي علمي ، مكتب الدراسات والبحوث ، دار الكتب العلميّة ، بيروت لبنان ط2 ، 1425هـ|2004م ، ص 38.

النّفس لا يكون خُلُقًا كغضب الحكيم ، وكذلك الرّاسخ الّذي تصدُرُ عنه الأفعال بعسير وتأمل كالبخيل إذا حاول الكرم(1).

يجيء لفظ الخُلق ولفظ الأخلاق وصيغ أُخرى تنبثق منهما وصفًا لفكر الإنسان وسلوكه دون غيره من المخلوقات ذلك لأنّ الإنسان هو المخلوق الوحيد الّذي منحه الله طاقات متميّزة من الإدراك والتّفكير وحريّة الإرادة لذا نجد سلوكه مُرتبطًا بالفكر ، ومُتوافِقًا مع ما يدين به من اِعتقاد كذلك فإنّ الإنسان مُنذ نشأته يُمارس حُكمًا أخلاقيًا على الأشياء ، فهذا خير وذاك شر، وهذا حسن وهذا قبيح ، وهذا نافع وهذا ضار الأمر الّذي يجعله يستحق وصف أنّه كائِن أخلاقي. تأخذ الأخلاق **معنى علم** : علم يبحث في الأحكام الخاصّة بالخير والشّر ، والفضيلة وهو على نحوين : إمّا أن يتّجه إلى تحليل سيكولوجي أو سوسيولوجي لأحكامنا الخلقيّة لبيان أسباب اِستحساننا أو نُفُورنا ، وإلى بيان أُسلوب الحياة الّذي ينبغي أن نحتذيه كأسلوب خيّر أو حكيم(2).

الأخلاق جمع خُلُق ومردُ معناه في اللغة العربيّة وبعض اللغات الأُخرى معنى العادة جاء في (لسان العرب) لابن منظور "اشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة وهي التّمرين من ذلك تقول للّذي ألف شيئًا صار ذلك له خُلُقًا أي مرن عليه ، ومن ذلك الخُلُق الحسن" ، أخذت الأخلاق معانٍ متعددة في اللغة بحيث نجد في اللغات الأُوربيّة كلمة **Morale** بالفرنسيّة و **Morals** بالإنكليزيّة ، و**Moral** بالألمانيّة ، و**Moralc** بالإيطاليّة ....، وهذه الكلمات مُشتقّة من الكلمة اللّاتينيّة **Mores** جمع **Mos** ويُناظرها في اليونانيّة **éthos** ومعناها العادة ومن هذه الكلمة جاء الإسم الآخر للأخلاق وهو **éthice** في اللّاتينيّة و**éthica** في الإيطاليّة و **éthique** بالفرنسيّة و **éthics** بالإنكليزيّة ، و**éthik** بالألمانيّة(3).

---

(1) جميل صليبا ، المرجع السّابق ، ص 39.
(2) مُراد وهبه ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة للطباعة والنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، ط5 2007،ص 33.
(3) محمّد عبد الرحمان مرحبا ، المرجع في تاريخ الأخلاق ، جروس برس ، طرابلس لبنان ، ط1 1988 ، ص 31.

ينقسم علم الأخلاق إلى قسمين يُوضحهما المُخطّط الآتي :

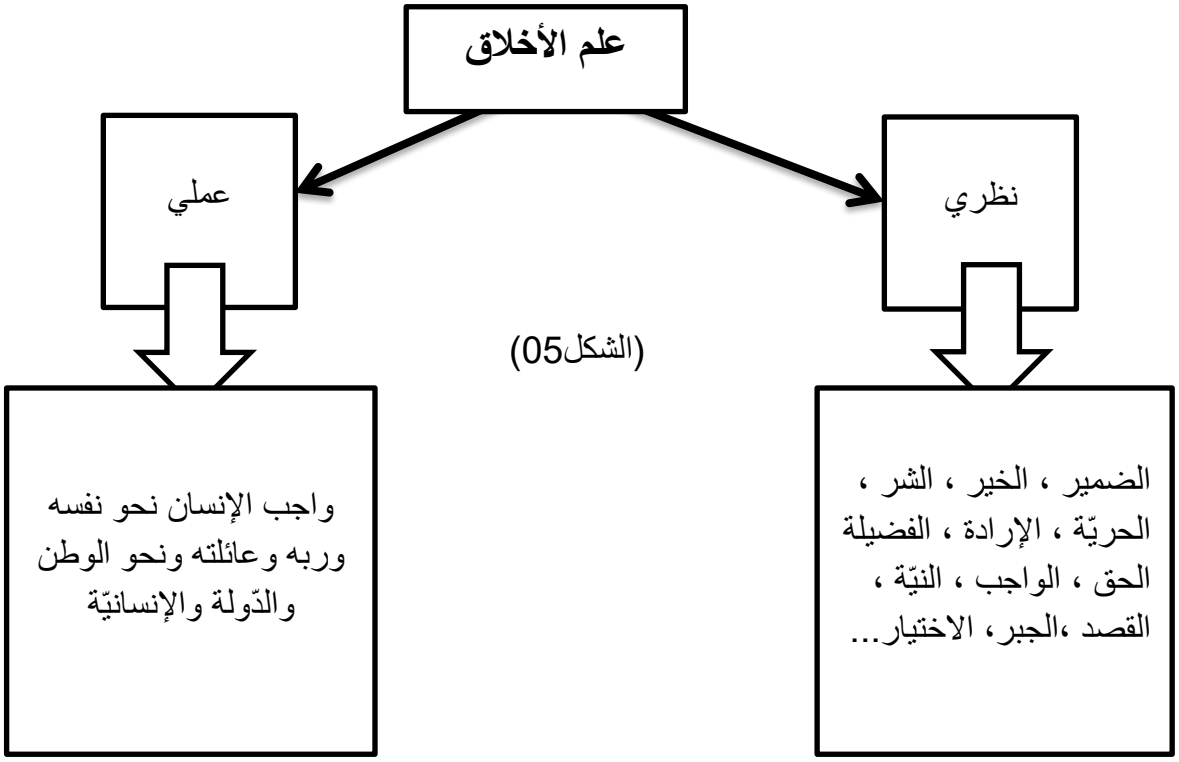

(الشكل05)

تعتبر الأخلاق النظريّة مُتأخرة الظهور عن الأخلاق العمليّة فالأخلاق العمليّة ستظهر أولًا في الشعوب البدائيّة وستتطوّر في بلاد الشّرق، وعند اليونان قبل **سقراط** لكنّها ابتداءًا من سقراط ستأخذ المنحى النّظري ,وسيبلغ هذا المنحى قمّته عند **أفلاطون** و**أرسطو** (1).

وهذا التقسيم لا يعني وُجود علمين مُتعارضين مُختلفين ، ولكنّ هذه التقسيمات أكاديميّة يُرادُ بها التحليل والتّبسيط تجنبًا للتعقيد وتسهيلا للبحث والدراسة ، وهذا لا يعني أيضًا أنّ الأخلاق النظريّة ظهرت فقط مع **سقراط** ، وبرزت بشكلٍ أكبر مع **أفلاطون** و**أرسطو** بل كانت هناك بعض اللّمحات عند الشّرق القديم لكنّها لم تعرف التّطوُر الّذي شهده العصر اليوناني مع **سقراط**.

---

(1) محمّد عبد الرحمان مرحبا ، المرجع السّابق ، ص35.

يُعد **سقراط** مُنشئ الطّريقة العقليّة للوُصول إلى معرفة جوهر الفضيلة إذ يتساءل كيف تسنّى للشهوات أن تُسيطر على قلب الإنسان ؟ ولِمَ تفرّق النّاس في المدينة شِيَعًا وأحزابًا ؟ كل ذلك سببه حسب سقراط أنّ الإنسان يتّخذ من القيّم الخارجيّة مُرشدًا له في تعطشه للمعرفة ورغبته في العدالة وبحثه عن السعادة ، أمّا إذا وجّه الإنسان نظره نحو المصدر الحقيقي الّذي تُستمد منه الأشياء الخارجيّة بريقها أي نحو القيمة المُطلقة و هي تتمثّل في "الحكمة" ، فإنّه في هذه الحالة يتحرّر من سيطرة المادّة على نفسه ، وهذا المصدر الحقيقي يكمُنُ في النّفس ، ومنه تستمد القيم الأُخرى حياتها ، وذلك كما تبعث الشّمس الحياة في الكائنات المُختلفة وهذه الشّمس الإنسانيّة هي **"الخير"** ونورُها هو **"العقل"** وحرارتها هي **"الحب"**(1).

وهذا ما يُعبّر عن النُزوع العقلي الّذي بدأ مع **سقراط** وتعمّق مع **أفلاطون** و**أرسطو** بحيث الحكمة هي الّتي تُحقق الحريّة الحقيقيّة للإنسان ، وذلك بتحريره من الأشياء الماديّة وهذا التحرر يُعبّر عن العقل المُتوازن الّذي يُخالف الهوى ، وهذه الحقيقة هي أساس العدل فإذا تحقّقت روح العدالة في كل نفس فإنّ ذلك يُؤدي إلى مُصالحة الجُمُوع ، ولا شكّ أنّ سقراط دفع حياته ثمنًا لفلسفته ذلك لأنّ الظلم المُستقر لا يُحِبُ من يكشف عنه ويُظهره واضحًا للعيان ، ولكنّ **سقراط** جابه الموت بقوله " خير للإنسان أن يحتمل الظلم من أن يقترفه " (2).

وهذه العبارة عبّرت بالفعل عن فلسفة **سقراط** الّذي كان قد وضع جُملةً من القواعد والقوانين فرغم توفر فرصة الهرب والابتعاد بدلاً من الموت إلّا أنّه فضّل الخيار الثّاني لأنّه لو فعل أو قام بالخيار الأوّل لكان مُناقِضًا لمبادئِه وبالتّالي فلسفته .

من بين المقولات الّتي تتسم بالحكمة عند **سقراط** مقولة "اعرف نفسك بنفسك" ، حيث لم تهدف محادثات سقراط إلّا إلى الكشف عن خبايا النّفس لأنّ الشّرط الأوّل من شروط التّفكير هو معرفة الإنسان لنفسه ثمّ التخلص من تأثير بعض العادات المُتسلطة على النّفس بحكم العادات والتقاليد.

---

(1) السّيد محمّد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعيّة، 2000، ص40.
(2) السّيد محمّد بدوي، المرجع نفسه ، ص41.

تتحدّد شروط المعرفة الحقيقيّة ، ومنه جاء قوله "الرّذيلة ليست إلّا جهلًا" ، وأنّه "يكفي أن نعرف الخير حتّى نفعله" ، يستهدف علم الأخلاق بحسب **سقراط** البحث عن حقيقة الأشياء وذلك البحث يتّسم بالأهميّة والإثارة لأنّه يكشف عن صواب أو خطأ السلوك الإنساني ، وكما

أرسى سقراط دعائم الفضيلة ووقف بكل حزم ضدّ أوجه الفساد السفسطائي كذلك قدّم **أفلاطون** تحليلاً أخلاقيًا طويلاً يتعلّق بالفرد حيث يقول بأنّ الفعل الخلُقي يتضمّن جزاءه في باطنه ويحمل في ذاته مُبررات فعله ، وقيمته باطنيّة ذاتيّة بمعنى أنّ الإنسان الفاضل لا يُقدِّم على فعل الخير رغبةً في تحقيق لذّة أو جلب منفعة فقضى بهذا على رأي **السفسطائيين** ويُؤكد **أفلاطون** أنّ كافّة الفضائل مع استثناء الحكمة قد نشأت في النّفس عن طريق العادة والمران وتقوم الفضائِل عنده على قوى النّفس الثّلاث :

1) **القوّة الشهويّة :** الشّهوات ، وفضيلة هذه القوّة هي العفّة الّتي تلطف الأهواء فتترك النّفس هادِئة والعقل حرًا .
2) **القوّة الغضبيّة :** مصدر عام لطائفة من الانفعالات تحُضُ على العمل النّشيط الميّال إلى النزاع والغضب والشّجاعة ، والإقدام ، وحب الشّرف ، وفضيلة هذه القوّة هي الشّجاعة.
3) **القوّة العاقلة :** وفضيلة هذه القوّة هي الحكمة حيث تُكمل العقل بالحق.

وإذا ماخضعت الشّهوانيّة والغضبيّة للعقل تحقّق في النّفس النِّظام والتّناسب(1).

نحى **أفلاطون** منحى مثالي في فلسفته وخاصّة الأخلاقيّة حيث نجده يسعى لبلوغ عالم المثل الّذي يراه المُقوِّم الوحيد للخير الأقصى والأسمى وذلك من خلال تخلص النّفس من سجنها وهو الجسم بإماتة الرّغبات والأهواء والانصراف عن اللذّات والاقبال على حياة الزهد والحرمان ، وعالم الحس كله شر يجب الابتعاد والانفصال عنه رويدًا رويدًا.

---

(1) وليام ليلى ، مقدمة في علم الأخلاق ، ترجمة وتقديم وتعليق ، علي عبد المعطي محمّد ، منشأة المعارف ، بالإسكندريّة ، جلال حزي وشركاه ، 2000، ص ص 48 ،49.

كان **أرسطو** أقرب إلى الواقع من **أفلاطون** فهو يرى أنّ تحقيق الخير الّذي يقتضي البحث عنه أمر ميسور في حياتنا هذه الحاضرة، وذلك بالتّمسك بالتجربة الإنسانيّة ففلسفة **أرسطو** هي فلسفة عقليّة تصوريّة واقعيّة ،أي أنّ أرسطو أنزل الفلسفة من السّماء إلى أرض الواقع ،و**أرسطو** هو من نادى بأنّ الأخلاق علم عملي يهدف إلى تحقيق غاية بدون هذه الغاية يستحيل على الإنسان أن يقوم بفعل أو تصرف، ولا شكّ أنّ موقف **أرسطو** في الفضيلة يرتبط كل الارتباط بمفهومه عن السّعادة الّتي تقوم على العقل والنّفس ، ويتحدّد مفهوم **أرسطو** فيما يُسمّى بالوسط الذّهبي فكل فضيلة وسط بين رذيلتين أو طرفين كلاهما رذيلة فالشّجاعة وسط بين الجُبن والتّهوُر(1).

الوسط الّذي يقول به **أرسطو** هو وسط اعتباري يتغيّر بتغير الأفراد والظروف الّتي تُحيط بهم والفضيلة هي ملكة اختيّار ، والاختيار صادر عن الارادة ، وهي بدورها صادرة عن معرفة .

---

(1) وليام ليلى، المرجع السّابق ، ص 54.

أمّا **أبيقور** فهو يرى أنّ اللذّة هي الخير الوحيد الأقصى ، وأنّ الألم هو الشّر الوحيد وليس ثمّة لذّة تُرفض إلّا من أجل نتائجها الأليمة ، ولا تختار الألم إلّا متى كان وسيلة لتحقيق لذّة أعظم وصفوة القول أنّ كل سلوك فاضل وكل نشاط نظري عقلي يكون باطلًا أجوف معدوم القيمة إلّا بمقدار ما يُضيف من لذّة إلى حياة صاحبه (1).

يُؤكد **أبيقور** في هذا المعنى أنّ ما يعنيه باللذّة هو تلك اللذّة الّتي ينشدها الرّجل البسيط السّوي وإذا استُبعدت الشّهوة والحس فقد جُرِّدت الفكرة من مغزاها، وهذا المذهب يبدو مُلائِما لميول أغلب النّاس ، ولمّا كان للعقل مكانةً بارزة في العصر اليوناني غُيِّب دوره في العصور الوُسطى الّتي كانت مُتأثِرة بالكنيسة ، فقد ربط المفكرون في تلك المرحلة بين الأخلاق وبين الدين كما ذهبوا إلى أنّه لا تُوجد قطيعة بين الأخلاق وبين علم السيّاسة، وما يُعاب على هذا العصر أنّه لم يُشجِّع التأمُل الأخلاقي ولا البحث الحر في ميدان الأخلاق ، بل انكبّ على تحديد الصّواب والخطأ والخير والشّر بالرجوع إلى القانون الالهي ، وإلى الانجيل كما فسّرته الكنيسة(2).

يُلاحظ أنّ العقل البشري لم يلعب دورًا كبيرًا في العصور الوسطى بل كان مفسدة وقوّة لا يُعتدُّ بها أمام قوّة الدين , وفي نفس العصر نجد العالم الإسلامي يُعطي للأخلاق قيمة عظيمة لا بالنسبة للحياة العمليّة للمسلمين أنفسهم فحسب , بل بالنسبة لأبناء البشر جميعًا لأنّها تنطوي على دستور أخلاقي عظيم هو القرآن كما أنّ جُل القواعد الأخلاقيّة تُستخلص من القرآن ومن التّشريع الاسلامي فإذا استعرضنا آيات القرآن الكريم بحثًا عن بعض المفاهيم الأخلاقيّة مثلًا الواجب الأخلاقي فقد وردت كلمة **"يجب"** في القرآن الكريم في **قوله تعالى** : "فَإِذَا وَجَبَت جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا اَلْقَانِع وَاَلْمعتز" **الحج 36** (3).

ونجد **الغزالي** مثلًا يُسمي كل سلوك كالصدق والكذب والكرم والبُخل ، وغيرها من الأعمال عمل إرادي ولسلوك الإنسان أُسُس نفسيّة يصدُرُ عنها كالغريزة ، والسّعادة ، وتُعرفُ هذه الأُسُس بمظاهرها فكل سلوك لا بُدّ له من أساس يصدُرُ عنه ، وأخلاق الإنسان لا تُوجدُ بالصُدفة ولكنّها تُوجد وترتقي وتصلح أو تنحط وتفسد ، وفق قوانين ثابتة ومعرِفة هذه القوانين تُساعِدُ على إصلاح الأخلاق وتقويمها بقدر ما تسمح به الظروف البيئيّة والحضاريّة ، كما أنّ النّاس يميلون إلى الشّرف والرفعة والكمال وسائِر الفضائِل دائِمًا لكنّ هذا الميل يختلف قوّة وضُعفًا بحسب طبيعة المجتمع واعداده وأنظمته وزمنه ، والتّربيّة الصّحيحة هي الّتي تُعزز هذا الميل وتُنميه وتصل بالإنسان إلى أقصى ما يُمكن الوصول إليه من السمو والكمال(4).

تغلب السِّمة الدينيّة الإسلاميّة جُل مُؤلّفات الفلاسفة المسلمين وخاصّة في ميدان الأخلاق فالإنسان يعمل للدنيا بقدر ويعمل للآخرة بقدر ، ويحدد علاقاته مع الآخرين بقدر ، كما يحدد علاقته بربه بقدر وكل ذلك لتهذيب الضّمير واتزان السلوك ,وتنظيم الحياة الإنسانيّة ككل فالفرد

---

(1) وليام ليلى ،المرجع نفسه ، ص55.
(2) وليام ليلى ، المرجع نفسه ، ص 56.
(3) عبد الحي محمّد قابيل ، المذاهب الأخلاقيّة في الإسلام (الواجب-السّعادة) ، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع , القاهرة ، د.ط ، 1984، ص17.
(4) الإمام الغزالي ، آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، دراسة وتحقيق محمّد سعود المعيني مطبعة العاني ، بغداد ، الجمهوريّة العراقيّة وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة وإحياء التراث الإسلامي ص23.

جزء من الجماعة والجماعة جزء من الحياة ، والحياة جزء من الكون ، والكون مسخّر للأحياء والكل من خلق الله وفي طاعته ، وكما يُقال إنّما الأمم الأخلاق فالأمة تكتسب العراقة والبقاء بأخلاقها وأعرافها وفي الحديث : **"إنّمَا بُعِثتُ لأتمِّم مَكَارِم اَلْأَخْلَاقْ"** عرف العرب فيما عرفوا عن اليونان كتابًا **لأرسطو** في الأخلاق ، وضع **ابن مسكويه** كتابًا في صناعة تهذيب الأخلاق الّذي يُعدُّ كتابًا في علم الأخلاق ، وفي نفس السيّاق نرى **الغزالي** يُعرّف الخُلُق الحسن بأنّه إصلاح القوى الثّلاث : قوّة التّفكير ، وقوّة الشّهوة ، وقوّة الغضب ، وفي موضِعٍ آخر يُعرّفه بأنّه فعل ما يكره المرء ويستشهد بالحديث (حُفّت الجنّة بِاَلْمَكَارِه وَحُفّت اَلنّار بِاَلْشّهَوَات)، وبالآية "وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيئًا وَهُو خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌ لَكُمْ" **البقرة: 216**، وفي موضع آخر أيضًا يعرّف حسن الخُلُق "بأنّه يُزيل جميع العادات السيّئة الّتي عرف الشّرع تفاصيلها ويجعلها بحيث يبغضها فيتجنّبها كما يتجنّب المستقذرات ، وأن يتعوّد العادات الحسنة ويشتاق إليها فيُؤثِرُها ويتنعّم بها"(1).

وهذه التعاريف **للغزالي** كنموذج من فلاسفة الإسلام يعني بها أنّ حسن الخُلُق، أو الخُلُق هو عبارة عن هيئة النّفس وصورتها الباطنة.

أمّا في الفترة الحديثة والمعاصرة فقد فقدت الكنيسة السلطة المُخوّلة لها في القرنين 15 و 16 ويرجع السّبب في ذلك إلى ظهور المذهب الفردي وطغيان النّزعة العقليّة وتمجيد العقل وفي الوقت نفسه غربت شمس المسلمين .

الخُلُق عند بعض المذاهب الفلسفيّة الغربيّة: (الشكل06)

المذهب الشّكي وينحو منحى السفسطائِيين الّذي يرى بأنّ الفارق بين الصّواب والخطأ إنّما هو فارق ذاتي يعتمد على اتجاه الفرد الّذي يصدر الحكم الأخلاقي.	الأخلاقيين الصّواب والخطأ من خلال البصيرة المباشرة أو البديهة المباشرة .	الفرق بين الصّواب و الخطأ يعتمد على قانون ما . الرواقيون:العقل والطّبيعة. توما الإكويني : القانون الأخلاقي هو قانون الطّبيعة البشريّة. ديكارت ، كانط ،هيجل: قانون العقل.	معيار الصّواب والخطأ والخير والشّر هو اللذّة . كانت عند الأبيقوريون لتمتدّ إلى جيرمي بنتام وجون ستيوارت مل.

نظريّات أخلاقيّة جديدة:

أخلاق التطور: **هربرت سبنسر**.

الأخلاق المثاليّة : **بوزانكت** .

الأخلاق النسبيّة : **ويستر مارك .**

1() زكي مبارك ، الأخلاق عند الغزالي ، دار الجميل ، بيروت ، ط1 ، 1408ه|1988م ، ص152.

أخلاق الحدس : **فلسفة برغسون** (1).

الأخلاق تفكير حي متطور لأنّه دائِب الاتصال بنشاطي النّظر والعمل ـ، القول والفعل وكلاهما يجري في زمان هو حياة الفرد بوصفه عقلًا مُبدعًا وحياة النّاس بوصفهم أعضاء في مجتمع ذي حياة وتطور أي تاريخ ، بحيث دراسة الأخلاق فلسفيًا هي إعمال النّظر في الأخلاق العمليّة أو التّخلق وهذه الفلسفة الأخلاقيّة النّظريّة أنجبت فلسفات كثيرة جدًا بعضها أُسطوري السِّمة والآخر ميتافيزيقي المُنطلق ، وبعضها ديني الجذور والغايات ، وجُلُهَا عقلي النّهج موضوعي القصد علمي الزّعم ثابت المطلب ، شامل الهدف مادامت الفلسفة النّظريّة خاصّة والعمليّة عامّة تتطلّع أن تكون إنسانيّة كليّة بل مطلقة تتجاوز أعراض الزّمان والمكان ، وذلك لتبلغ حقيقة كل إنسان وحقيقة كل النّاس ، وبالتّالي تُقيّد الإنسان بالواجبات الأخلاقيّة الّتي تقرها الحياة العمليّة كسبيل لتحقيق سعادته وحريّته.

المبحث الثّالث : الأخلاقيّات | البيوتيقا : الأخلاق التطبيقيّة

إنّ كل فكر متمرسٍ وواعٍ بمعنى التّفلسف ، يقر بأنّ الحكمة الفلسفيّة الحقّة تتجلّى في الجانب العملي السلوكي والتّطبيقي اليومي ، ليكون العمل والتّطبيق هو مركز ثقل الفعل الفلسفي وماهيّته الأُولى فمُنذُ أن تحوّلت المهمّة الرّئيسيّة للفلسفة مع **كانط** ثمّ بعدها **ماركس** Marx من مهمّة تفسير العالم إلى محاولة الإسهام في تغييره لم تنفك الفلسفة عن قراءة الواقع اليومي المعيش للإنسان والمجتمعات المعاصرة ، من أجل المساهمة في إيجاد الطّرائق والوسائِل المتنوعة الكفيلة والفعّالة بُغية مُقارنتها وتمثُّلِها إيجابًا بما يعود بالنّفع والسّعادة على الإنسان من أجل إنسانيّة أكثر تحكُمًا في مصيرها ، لقد عرف الإنسان المعاصر والرّاهن مشكلات معقّدة ومتنوعة ، وذلك تحت تأثير التّحولات الجذريّة الّتي طالت مختلف العلوم والمباحث المعرفيّة البشريّة وكذا الثّورة الكبرى في مجال التقنيّات والتكنولوجيّات الاتصالية والتّواصليّة والصناعات المختلفة والخدماتيّة الّتي تمكّنت لأوّل مرّة من صناعة واقع جديد للإنسان لم يعرفه من قبل وهو الواقع الافتراضي ، وتلك التّحولات انجرّ عنها مشكلات جمّة ومستعصيّة في الفكر والاقتصاد والسيّاسة والاجتماع والأخلاق والتربيّة والإدارة والتّعليم والقانون وغيرها ، وهي تتطلّب مقاربات شموليّة مُتفرِّدة في معالجتها وتمثُّلها وهي المهمّة الّتي يمكن للفلسفة التّطبيقيّة

(1) وليام ليلى , المرجع السّابق ، ص ص 59 ,60.

المساهمة فيها بفعاليّة وإيجابيّة لا محدودة إذ أصبح العقل يُعنى بمصير الإنسان أمام التحديّات الكبرى الّتي تُميّز الحياة الرّاهنة فيمتد السؤال الفلسفي إلى الاقتصاد والإعلام وتكنولوجيّات الاتصال،السيّاسة العالميّة ،البيوطبي والتحولات الأُنطولوجيّة الّتي فرضتها اكتشافات البيولوجيا ،وهو سؤال يُولي الإتيقا الاهتمام الكبير ويرى أنّ الأزمة الإنسانيّة سببها مأزق في تصور الإتيقا Ethique فهل تستطيع الفلسفة التّطبيقيّة إخراج الإنسان المعاصر من مأزق الخوف الّذي يُساير الزّمن البشري؟

البيوطيقا Bio éthique لفظٌ وقع رصده سنة 1970 عند فان **رنسلار بوتر** Van Rensselaer potter في مقال له بعنوان Bioethics , the science of survival(1). كان يطلق اللّفظ قبل أن يختصّ بالمجال الطبي على كل المشكلات الّتي تعترض الإنسان الفاعل في علاقته بمحيطه.

حقّقت البيوطيقا نجاحًا باهرًا في الولايات المتّحدة الأمريكيّة ، لكنّ الجزء "إتيقا" اِنفصل في فرنسا عن البادِئة بيو اِنفصال مركبة فضائيّة عن محركاتها لتُواصل طريقها مُخفّفة من أعبائِها ومدارات أسئِلتها الأساسيّة وهي : ما أحداث الحياة الّتي تُعلل مخاوفنا وآمالنا؟ ما الأسئِلة الّتي تطرحها هذه الأحداث على الوعي؟ ما القيّم الّتي تُسنِدُ ما نتّخذُه من مواقف ؟(2).

البيوطيقا هي مجال فكري اتّسم باستعمال تقنيّات الطب الحيوي الحديثة الّتي تهدِفُ إلى التّوفيق بين البحث العلمي وبين احترام الكرامة البشريّة ، وقبل ذلك وجب التّفريق بين الأخلاق والإتيقا فاللفظان لهما جذران لغويّان مختلفان:

الأخلاق Morale من اللغة اللّاتينيّة Mosmores

الإتيقا éthique من اللغة الإغريقيّة إيتوس éthos

الّذي يُفيد العادات Moeurs التّصرف في الحياة وقواعد السلوك(3).

وهذا الاختلاف يوضح مدى بُعد لفظ الإتيقا عن المعايير الدينيّة في حين لفظ الأخلاق لصيق

بالمعايير الدينيّة ,وهكذا فإنّه يُفضّل في كثير من الأحيان استخدام لفظ الإتيقا أكثر من لفظ

الأخلاق لأنّه يتناسب مع التّوجهات الجديدة .

يعود مفهوم الإتيقا اليوم وكثرة تداوله وعدم التّأني في توظيفه للعديد من الاعتبارات ما يجعلها

أحيانًا شعارًا نرفعه عاليًا لنستعيض به عن لفظ الأخلاق الّذي كثيرًا ما يرتبط في لغة التّداول

---

(1) عبد العزيز العيادي ،اِتيقا الموت والسّعادة ، صامد للنّشر والتّوزيع ، المطبعة المغاربيّة للطباعة والنّشر والإشهار الشرقيّة ، تونس ، ط1، أفريل ، 2005 ، ص22.
(2) عبد العزيز العيادي ، المرجع السّابق ، ص22.
(3) محمّد جديدي ، البيواتيقا مقاربة علمانيّة ، بحث محكم ، مؤسّسة دراسات وأبحاث ، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانيّة ، الرباط ، أكدال ، المملكة المغربيّة ، 04 ديسمبر 2015 ، ص8.

اليومي بدلالة التّأزُم أو دلالة تحقيريّة حيث تُصبح الأخلاق مرادفة للمواعظ والأوامر الّتي يُقدِّمُها

البعض عن كثرة التّحولات؟ فهل الإتيقا استئناف لتعبِئة الوعي الأخلاقي ؟ وهل تتعلّق الإتيقا

بالاختبارات العمليّة المُلِحّة والآنيّة الّتي لا تنتظر التّشريع القيمي وأوامر القوانين الأخلاقيّة؟

تأتي الإجابة على هذه الانشغالات بأنّ لفظة إتيقا êthos كان لها عند **هوميروس** معنى عينيًا دالاً على السّكن أو المنزل أو مأوى الحيوانات ، وسيتّخذ اللفظ لاحقًا مع **هزيود** معنى نمط الوجود المعتاد ومعنى العُرف أو الطّبع ، وحتّى عند هوميروس ذاته لم تكن غائِبة فكرة الإتيقا بما هي مجموع الأعراف الجماعيّة (1).

أمّا الجمع إتيقات êthê فيُشر إلى ما يتأدّب به فرد أو نوع أو شعب أو مدينة نفس الأمر تشير إليه الكاتبة الفرنسيّة **France quéré** حيث تذهب إلى أنّ لـ **êthos** دلالة التّهيُؤ والتّدبير ولـ**éthos** دلالة العُرف والعادة ، وفي الواقع فإنّ اتيقا مُتأتيّة من من اللّفظ الأوّل **êthos** الدّال على التهيؤ الأخلاقي والّذي استخرجت منه اللّفظة اليونانيّة **êthikê** ، وهي اللّفظة الّتي استعادتها كل الألسن الأوربيّة (2).

أخذ **لالاند** في تعريفه للإتيقا موقف التّقابل بين الأخلاق والإتيقا

فالأخلاق : جملة القواعد العمليّة المطبّقة والمشروطة اجتماعًا وتاريخًا.

الإتيقا : علم الأولى تشريعًا وتقويمًا.

مع التّوجهات الجديدة في ميدان الأخلاقيّات التّطبيقيّة الّتي تُعدُّ مجموعة من القواعد الأخلاقيّة تسعى لتنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا، وما يرتبط بها من أنشطة اجتماعية واقتصادية ومهنيّة نتطرّق لتاريخ الفكر البيواتيقي وفق المخطّط التّالي(3):

(الشكل07)

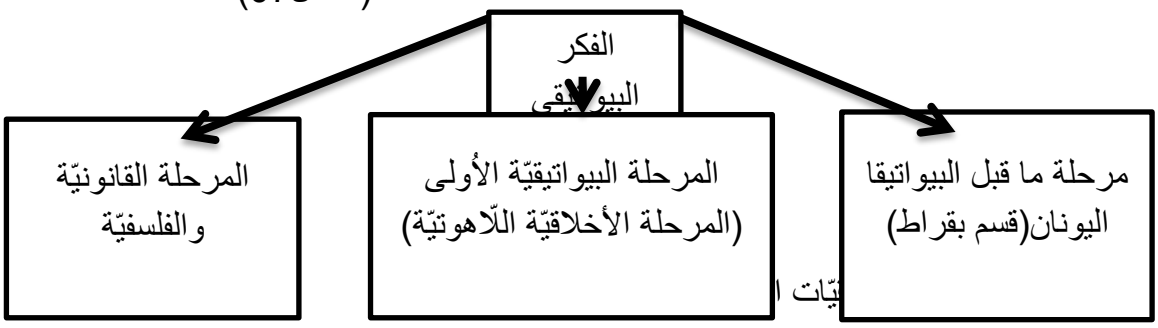

1) أخلاقيّات الطب والبيولوجيا أو البيواتيقا La bioéthique.
2) أخلاقيّات البيئة L'éthique environmementale.

---

(1) عبد العزيز العيادي ، المرجع السّابق ، ص25.
(2) عبد العزيز العيادي ، المرجع نفسه ، ص 27 ، 28.
(3) عمر بوفتاس ، البيوإتيقا (الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا) ، أفريقيا الشّرق المغرب ، ج1 ، 2011 ، ص370.

3) أخلاقيّات الاقتصاد L'éthique économique.
4) أخلاقيّات المعلومات L'éthique de l'informatique.
5) أخلاقيّات الإعلام والاتصال L'éthique des mass média.
6) أخلاقيّات التكنولوجيا La technoéthique.
7) أخلاقيّات تكنولوجيا الفضاء L'éthique de la technologie spatiale (1).

سيختص البحث بجانب أخلاقيّات الطب والبيولوجيا أو البيوإتيقا La bioéthique بحيث يجب مقارنة الكلمة لغويًا فهي مكوّنة من شقّين من أصل يوناني قديم بيو| طيقا ، بيو أي بيوس وزوي بمعنى الحياة ، وطيقا مشتقّة عن الكلمة اليونانيّة بمعنى إثيكس ولها معانٍ عديدة منها :

1) مجموعة المبادئ الّتي تقرر السلوك الصّحيح .
2) نظريّة أو منظومة القيّم الأخلاقيّة ، وحين ترد بالجمع في الإنكليزيّة يُمكن أن تعني القواعد والمعايير الّتي تحكم سلوك شخص أو أعضاء مهنة بعينها .
3) الدراسة الفلسفيّة للقيمة الأخلاقيّة للسلوك البشري(2).

يعتبر القرن العشرين قرنًا للعلوم الحياتيّة (البيولوجيّة) خاصّة النصف الثّاني من هذا القرن فقد شهد مولد أفكار جريئة وغير مسبوقة في مجالات :عالم الجينات وبيولوجيا الخليّة وعلم الأعصاب إضافة إلى التقدم الهام في البيولوجيا التّطوُريّة وعلم البشريّات الطبيعي ، وعلم البيئة كما تمخّضت بحوث متناميّة ظهرت نتائجها في مجال الطب والفلاحة وتربيّة الحيوان والتّغذيّة البشريّة .

بدأ مفهوم الحياة الّذي لم يكن واضحًا ومميّزًا عن الروح الّتي اعتبر البدائِيين من النّاس امكان حلولها في الجبل والشّجر ، ولكن سرعان ما تغيّرت هذه النّظرة الحيوانيّة للطبيعة ولكن ظلّ اعتبار كل مخلوق حي هو شيء ما يميزه عن المادّة غير الحيّة ويُفارق بدنه لحظة الموت وفي اليونان القديمة كان هذا الشّيء في البشر يُطلق عليه اسم **"النّفس"** ثمّ سميّ بعد ذلك "بالروح" خاصّة في الديانة المسيحيّة ، ومهما يكن من أمر فإنّ البيولوجيين والفلاسفة عندما تكلّموا عن الحياة فإنّهم في العادة لا يعنون بذلك ظاهرة **المعيش Living** الّتي هي نقيض الموت ولكنّهم يعنون خاصيّة **الحياة Life** الّتي هي نقيض **انعدام الحياة** Life lesseness في أي جماد ، ولكنّ الحياة كمصطلح تجريدي لا يمكن التعامل معه علميًا بالقدر الّذي يُمكن التعامل مع عمليّة **(المعيشة Living)** (3).

هذا المفهوم أنتج العديد من المفاهيم الّتي تطوّرت في زمن التكنولوجيا حتّى قيل :"القرن الواحد والعشرون قرن الثّورة البيولوجيّة وهندسة الأحياء" بحيث الجوانب النّفسيّة والوظيفيّة

---

(1) عمر بوفتاس، مقال الأخلاقيّات التطبيقيّة ومسألة القيّم ، كليّة الآداب بنمسك ، الدّار البيضاء، ص ص 2، 3 "دراسة منشورة ضمن أعمال النّدوة العلميّة الّتي نظّمتها الرّابطة المحمّديّة للعلماء أيام 21 – 22 - 23 جمادى الثّانيّة 1432ه الموافق لـ25 - 26 - 27 ماي 2011 حول موضوع سؤال الأخلاق والقيّم في عالمنا المعاصر ص ص109 ،137."
(2)عمر بوفتاس ، المرجع نفسه ، ص4.
(3) إرنست ماير ، هذا هو علم البيولوجيا (دراسة في ماهيّة الحياة والأحياء) ، ترجمة عفيفي محمود عفيفي ، عالم المعرفة ، مطابع السيّاسة ، الكويت ، د.ط, يناير ، 2002، ص ص 15 ، 16.

الأساسيّة لحياة الإنسان تتغيّر وسوف تتغيّر أكثر فأكثر فأمراض الماضي الخطيرة قد اختفت والثّورة البيولوجيّة هيّأت فرصًا جديدة لإطالة العمر ، وذلك بفضل التّطور السّريع لعلم زراعة الأعضاء وبعده تجديد الأعضاء ,ومع المزيد من التّقدم الّذي يُحققه الإنسان في مجال بحوث **الوراثة** Heredite و**الجينات** Les genes ، ومن ثمّ الدنو من التّأثر على صورة أو هيئة سلالته لتخرج إلى الوجود على الصورة الّتي يُريدها بل وربّما يُنجبُهم بطريقة التّحكم أو ما يسمّى **" التخليق الجيني Ectogenetical "** ، وهو يتعلّق بتغيُرات محتملة في الجينات Genes نذكر على سبيل المثال علماء في كليّة الطب بجامعة " ستانفورد " استطاعوا حديثًا أن يجمعوا تكوينًا جينيًا من مصدرين مختلفين ويُشكلوا منهما جُزيئًا واحدًا فعّالا من النّاحية البيولوجيّة وهو جزيء DNA بعبارة أُخرى حقّقوا بنجاح هندسة ومعالجة جينيّة (1).

التّطور الّذي حقّقه الإنسان في هذا الميدان يبعث على السرور من ناحيّة التّطور البيولوجي لكنّه في نفس الوقت يحمل خطرًا مهدِدًا للبشريّة فإذا أمكنهم التّحكم في الجانب الجيني فيماعُرف بهندسة الجينات بإمكانهم أيضًا تطوير جرثومة تُسبّب مرضًا لا نعرف مُضادًا لعلاجه ممّا يُؤدي إلى كارثة تُهدد الحياة ، ومثل هذه البحوث يُعدُّ سلاحًا فتّاكًا ومُدمِّرًا إذا امتلكته جهة ما ، وهو ما يجري حقًا في إطار الحروب البيولوجيّة.

يوجد في عالمنا ثورة بيولوجيّة Revolution Liologique مرّت بمراحل أربع يُوضحها الجدول الآتي(2): (الشكل08)

مرحلة علم الحياة الجزيئيّة Biologie moleculaire	علم الحياة الخلويّةBiologie cellulaire	علم الغدد الصم العصبيّة Neuro endocrinologie	الهندسة الوراثيّة أو ما يُسمّى بتكنولوجيا DNA
دراسة الجزيئات	دراسة الخلايا نفسها ودراسة العلاقات بين الخلايا وبعضها البعض	اتصالات الأعضاء مع بعضها البعض.	تكنولوجيا الحمض الريبي النّووي المنقوص الأكسجين.

وقد مسّت الثّورة البيولوجيّة عالمنا من خلال :

1) التّأثير على العوامل الوراثيّة للإنسان.
2) الأبحاث الكيميا حيويّة على الدماغ والمخ خاصّة.
3) الأبحاث الخاصّة بعقم المرأة أي جعلها عقيمة في الأصل ولودة عندما تُريد.
4) تحديد صفات المولود وجنسه.
5) تخليق المواليد الصناعيين.
6) أبحاث في إطالة العمر.

---

(1) سعيد محمّد الحفّار، البيولوجيا ومصير الإنسان ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يناير ، 1978، ص18.
(2) سعيد محمّد الحفّار ، المرجع السّابق ، ص ص 25,26.

7) أبحاث تأمل الوصول إلى إبداع إنسان عن طريق زرع الأنسجة أو إعادة الحياة للإنسان بعد مماته ومحاولة إعادة الحياة للجثث مرّة أُخرى كما في مشروع تبريد الجُثث Freeying أو ما يُعرف ببرنامج ايتنجر Ettinger (1).

تبدو بحوث الهندسة الوراثيّة جليّة في محاولات تحسين النّسل فأحيانًا يولد أطفال بكروموسوم 13 أو 18 إضافي لكنّهم لا يعيشون لأكثر من أيّام معدودة ،أمّا الأطفال المولودون بكروموسوم 21 إضافي فيكونون أصحّاء لا يبعدون عن الأسويّاء فهم مصابون بمتلازمة داون ولهم مظهر مميّز يُعرف مباشرة : قامة قصيرة ، أجسام ممتلئة ، عيون ضيّقة ، وفي الحقيقة متخلفون عقليًا ، قدرهم أن يشيخوا سريعًا ، كثيرًا ما يظهر عليهم شكل من مرض الزهايمر ويموتون قبل أن يبلغوا سِنّ الأربعين ، وعادة يعود هذا الخلل الوراثي إلى كِبر سِن الأُمّهات (2).

وبفضل التّطور الّذي ورد ذكره سابِقًا يُمكن إجراء فحص للسّائِل الأمينوسي على الأُمّهات الأكبر سنًا لمعرفة ما إذا كان الجنين يحمل كروموسومًا إضافيًا ، فإذا كان الأمر كذلك تُطرح على الأُم مسألة الإجهاض الّتي تتعدّد فيها الرُؤى فكثير من النّاس لا يحبون أن يكونوا آباءًا لأطفال معاقين وفي نفس الوقت جريمة قتل تُشجّع رسميًا وتزهق روحًا مُقدّسة مع ازدراء للإعاقة. أمّا الأبحاث الكيميا حيويّة على الدماغ يوضح المُخطّط الآتي وجهة النّظر منها:

(الشكل09)

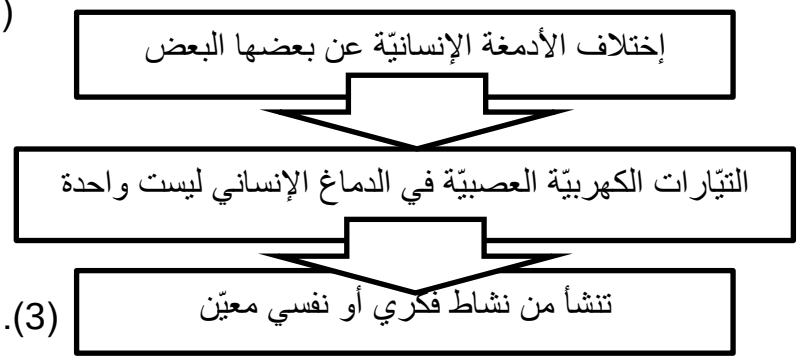

(3).

يمكن معرفة ما يجري في دماغ الإنسان من خلال مراقبة ما ينشأ فيه من تيّارات بالإضافة إلى تسجيلها وتوليدها آليًا وامرارها في الدماغ السّاكن بحيث تولّد النّشاط المحدّد الّذي تولّدُه عادة أو تنشأ عنه.

قام العلماء بسلسلة تجارب على القردة فغرسوا في أدمغتها أقطابًا كهربيّة (وهي عمليّة لا ألم فيها ولا تُسبّب للحيوان ازعاجًا بعد ذلك)، ووصلوا هذه الأقطاب بأسلاك تُمرّر فيها التيّارات المعروفة فصار بالوُسع إيقاف القرد الجائع بعد أن بدأ بالأكل عن اتمامه مثلًا ،أو جعل القرد

1() سعيد محمّد الحفّار ، المرجع نفسه ، ص 25.

(2) مات ريدلي ، الجينوم (السيرة الذّاتيّة للنّوع البشري)، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، مطابع السيّاسة ، الكويت ، شعبان ، نوفمبر، 1422هـ|2001، ص ص 329، 330.

(3) زهير الكرمي ، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب الكويت ، فبراير، 2000، ص230.

الّذي أتمّ أكله وشبع يعود للأكل من جديد كما لو كان جائِعًا ، وكذلك جعل القرد حزينًا أو فرحًا أو غاضبًا أو راضيًا وغير ذلك من ردود الفعل العقليّة والنّفسيّة (1).

يوجد اتفاق عام حول أهميّة وقيمة السّيطرة على الأمراض والأوبئة والتّخلص منها،لكنّ التقدم في هذا المجال يعتمد أساسًا على البحوث والتّجارب الّتي يجب أن تجري سواءًا على الإنسان أو الحيوان أمّا بالنسبة للحيوان فإنّ استخدامه مازال مُستمِرًا رغم اعتراض جمعيّات الرفق بالحيوان ولكن المشكلة الحقيقيّة تكمن في إجراء التّجارب على الإنسان خاصّة إذا عرفنا أنّ مثل هذه التّجارب يحتاج إلى دعم مادي من قبل الحكومات والجمعيّات، ولذلك ظهرت مواقف تزداد تصلبًا تجاهها كرد فعل ضدّ التّجريب على الإنسان باعتباره موضوع التّجربة .

هناك أيضًا أبحاث في الدماغ من نوع آخر وتتّجه هذه الأبحاث إلى دراسة أُسُس التعلم في الخلايا العصبيّة الدماغيّة ،ومن نتائج هذه الأبحاث أنّ الذّاكرة تتأثّر بمركّب عضوي حيوي في الخلايا اسمه حمض الريبينوكلييك ويُعرفُ برمزه RNA فالّذين تضعف ذاكرتهم يقل هذا الحمض في خلاياهم العصبيّة والدماغيّة منها بشكل خاص ، فإذا ما أُعطي ضعيف الذّاكرة حُقنات من هذا الحمض تحسّنت قوّة ذاكرته، وقد يكون هذا الحمض علاجًا "للخرف" الّذي يُصيب بعض النّاس(2).

طرحت الثّورة البيولوجيّة العديد من السلبيّات والّتي طرحت بدورها مشاكل أخلاقيّة غير مقبولة نفسيًا واجتماعيًا وعقائِديًا فقد يتمكّن بعض الديكتاتوريين المُتسلطين من استغلال هذه الأبحاث وجعل مجموعات كبيرة من البشر تستجيب نفسيًا وعاطفيًا وفكريًا بمجرّد لمسة من اصبعهم بحيث يندفع هؤلاء لعمل ما دون نقاش أو تفكير ، ومن جهة أُخرى أنّ مثل هذه الأبحاث يُمكن أن تكون لخير لا لشر بتوجيه البحث حيث تتولّد عواطف الحب والإحساس بالمسؤوليّة والعمل الدّقيق والتّفاني والاخلاص والصدق...،وهذا يتوقّف على ما يدور في أذهان مستخدمي الأبحاث.

المبحث الرّابع : العقل : بين الفيلولوجيا والبيولوجيا والأكسيولوجيا

يعتبر العقل أعدل الأشياء توزعًا بين النّاس ، مع أنّ الجميع لا يستعملونه كثيرًا بالتّساوي

لذا لابدّ من وضع دلالة لمفهوم العقل .

العقل في الفرنسيّة : **Raison ,intelligence , intellect**

العقل في الإنجليزيّة :

Reason ,intelligence ,intellect ,understanding ,intellectual powers

---

1() زهير الكرمي ، المرجع السّابق ، ص ص 230, 231.
(2) زهير الكرمي ، المرجع نفسه ، ص 232.

العقل في اللّاتينيّة : **Ratio , intelligentia**

العقل في اللغة هو الحجر والنُهى وقد سُمِّي بذلك تشبيهًا بعقل النّاقة لأنّه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السّبيل كما يمنع العقال النّاقة من الشرود(1).

بمعنى أنّ العقل ما يمنع صاحبه من الشرود والإنحراف عن الطّريق الصّحيح والسّليم .

العقل ايضًا الديّة والعَقول بالفتح الدّواء الّذي يمسك البطن ، والمَعْقِل الملجأ ، وبه سُمِّي الرجل وعقل القتيل أعطى دينه ، وعقل البعير من باب ضرب أي ثنى وظيفه مع ذراعه فشدّهما في وسط الذراع وذلك الحسل هو العِقَالُ والمع عُقُلٌ ، وعاقلة الرّجل عصبته وهم القرابة من قِبل الأب الّذين يُعطون ديّة من قتله خطأ ، والمرأة تُعاقل الرّجل إلى ثُلث ديّتها أي تُوّازيه فإذا بلغ ثلث الديّة صارت ديّة المرأة على النِّصف من ديّة الرّجل ، وعَقَلَ الدّواء بطنه أي أمسكه ،وعَاقَلَهُ

فَعَقَلَهُ من باب نصر أي غلبه بالعقل ، واعتقل رَمْحَهُ إذًا وضعه بين ساقيه وركابه (...) (2).

يأخذ العقل معانٍ عديدة في اللغة فهو ما يُقابل الغريزة الّتي لا اختيّار لها ومنه :

الإنسان حيوان عاقل ، وما يكون به التّفكير والاستدلال وتركيب التّصورات والتّصديقات ، وما به

يتميّز الحسن من القبيح ، والخير من الشّر ، والحق من الباطل ، والقلب ، والديّة ، والحصن والملجأ (ج) عقول(3).

يُعتبر العقل أساس التّفكير والاستدلال وتركيب التّصورات ومقياس الفصل بين الحسن والقبيح

والخير والشّر والحق والباطل .

يُقال " سليم أو صحيح العقل " ، و" مُختل العقل " ومنه العقل نور روحاني به تُدرك النّفس ما لا

---

(1) جميل صليبا ، المرجع السّابق ، ص 84.

(2) محمّد محي الدين عبد الحميد ومحمّد عبد اللّطيف السبكي ، المُختار من صحاح اللغة ، بطلب من المكتبة التجاريّة الكبرى ، مصر ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ص ص 351 ، 352.

(3) شوقي ضيف ومجموعة من النّاشرين ، المعجم الوسيط ، مجمّع اللغة العربيّة ، الإدارة العامّة للمعجمات وإحياء التراث ، مكتبة الشروق العربيّة ، ط1، جمهوريّة مصر العربيّة ، 1425هـ|2004م ص 617.

تُدركه بالحواس(1).

أي أنّ العقل أجل وأسمى وبه يصل الإنسان إلى ما لا تستطيع الحواس الوُصُول إليه.

العقل هو التّمييز الّذي يتميّز به الإنسان عن سائِر الحيوان ويُقال لفلان قَلْبٌ عقولٌ ولسان سؤولٌ وقَلْبٌ عَقُوْلٌ :فَهِمٌ وعَقَلَ الشّيء يَعْقِلُهُ عَقْلاً : فَهِمَهُ(2).

يتميّز عقل الإنسان بوظائِف عقليّة تجعله مُتفرِّدًا ومنه الفهم ، وإذا كان العقل يأخذ معاني منها الفهم فأشد الفاقة عدم الفهم ، وأشد الوحدة وحدة اللجوج ، ولا مال أفضل من العقل ، ولا أنيس آنس من الاستشارة ، أمّا العقل والحُمقُ فليسا من الخُلُق والكلام في تفسير العقل مشهور وعدمه الحُمق ، كما يوجد فرق بين العقل والرّأي ، وفي الفرق بينهما وجهان أحدهما أنّ العقل ما

تُيُقِّن به الصّواب من الخطأ ، والرّأي غلبة الظّن في ترجيح الصّواب على الخطأ ، والوجه

الثّاني أنّ العقل هو المُوجب لأمرٍ لا يجوز خلافه ، والرّأي هو سكون النّفس إلى ترجيح أمر يجوز خلافه (3).

العقل ضدّ الحُمق وهو يختلف عن الرّأي لهذا قال علماء العرب سُمِّيّ العقل عقلاً لأنّه يعقل صاحبه عن القبائِح .

وقد يُطلق العقل على العلم الّذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة العاقلة ومن قوله تعالى :" وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاّ اَلْعَالِمُوْنَ " **العنكبوت :43** ، وكل موضع في القرآن ذمّ الله فيه الكفّار بعدم العقل فالمُراد به المعنى الثّاني دون الأوّل كقوله تعالى :"صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَاْ يَعْقِلُونْ" **البقرة : 71** وكل موضعٍ رُفِع فيه التّكليف عن العبد في الشّرع بسبب عدم العقل فإشارةإلى المعنى الأوّل(4).

يُعد العقل مناط التّكليف وقد ورد ذكره في عدّة مواضع من القرآن الكريم ،ويتأرجح مفهومه

---

(1) المُنجد الأبجدي ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1986 ، ص 709.
2() ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق مجموعة باحثين : عبد الله علي الكبير ، محمّد أحمد حسب الله ، هاشم محمّد الشّاذلي ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة ، طبعة جديدة ،د.ت، ص 3064.
(3) سميح رغيم ، موسوعة مصطلحات العلوم الإجتماعيّة والسيّاسيّة في الفكر العربي والإسلامي مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2000 ، ص ص 739 ، 740.
(4) أحمد سعيد الخطيب ، مفاتيح التّفسير مُعجم شامل ، دار التّدمريّة ، المملكة العربيّة السعوديّة، ط1 1431هـ|2010م ، ص605.

بين عدّة معانٍ بعضها يُفيد التّفكير السّليم والحُكم الصّائِب و أساس الاختلاف بين الإنسان والحيوان كما يحمل معنى معياري أخلاقي يُفيد التّعقل والابتعاد عن الشّهوات وبالتّالي فإنّ دلالات العقل تتداخل بين مجالات مُتعدِّدة سيطرُقُها البحث فلسفيًا.

فلسفيًا: اتّخذ العقل عدّة معانٍ :

العقل عند **أنكساغوراس** Anaxagore de clazomènes 500ق.م/428ق.م

أو 427ق.م يُرادف إله **إكسانوفان** الّذي حرّك المزاج الأوّل ، الّذي كان متساويًا غاية التّساوي لا

يتميّز فيه شيء من شيء ، فامتدّت الحركة حتّى عمّت الكل وانفصلت الأجرام السّماويّة عن المركز (الأرض) بالحركة الأُولى، ورد هذا المعنى كذلك عند **أفلاطون** – Platon 427 Plato ق.م/347ق.م في حديثه عن "الصّانع" من حيث أنّه عقل كوني ، وهو مثال الخير الوارد في الجمهوريّة(1).

وقد ظلّ **سقراط** Socrates 469ق.م/399ق.م أُستاذ أفلاطون دائِبًا على السّعي لمعرفة ما هو مشترك بين جميع الأفعال الفاضلة بغية امتلاك القدرة على تقويم الكيفيّة الّتي يجب على المرء اعتمادها للتّصرف في الحياة وممّا قاله :"إنّ على المرء إذا أراد اختيّار أفعال خيّرة أن يعرف معنى "الخير" بِغض النّظر عن أي ظروف أو ملابسات محدّدة فتقويم شيء ما على أنّه "أفضل" من شيء آخر يقوم على افتراض وجود خير مطلق يُمكن مقارنة الخيرين النسبيّين به وبالتّالي فأي فعل يُوصف بالعدل من شأنه أن يكون أمرًا نسبيًا لفضيلة غير مؤكّدة ما لم يتوافر أساسٌ مُطلق ما لتقويم الأفعال على أنّها عادلة أو ظالمة (2).

يُعتبر العقل عند **سقراط** و**أفلاطون** عقل كوني هو مثال الخير والأساس المُطلق لتقويم الأفعال من حيث الجمال والحُسن والقُبح ، والعدل والظلم ، والعقل عند **سقراط** هو المُوصل إلى معرفة الحقيقة لا الحس لأنّ الحواس تختلف باختلاف الأفراد ، أو باختلاف الحالات بالفرد الواحد أمّا العقل فمعاييره ثابتة وعامّة لدى جميع النّاس .

أمّا عند **أرسطو**Aristote 384ق.م/322ق.م فيوجد عقل فاعل وآخر منفعل يقول: يجب أن يكون في النّفس تمييز يُقابل التّمييز العام بين المادّة وبين العلّة الفاعلة الّتي تُحدث الصورة في المادّة وفي الواقع نجد في النّفس من جهة واحدة العقل المماثل للمادّة من حيث أنّه يصير جميع المعقولات (3).

---

(1) مراد وهبه، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة للطباعة والنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، ط5، 2007 ص 423.

(2) ريتشارد تارناس ، آلام العقل الغربي ، ترجمة فاضل جتكر ، كلمة ، أبو ظبي الإمارات العربيّة المتّحدة ، الطّبعة العربيّة الأُولى ، 1431هـ/2010م ، ص28.

(3) مراد وهبه ، المرجع السّابق ، ص425.

ومن جهة أُخرى العقل المماثل للعلّة الفاعليّة لأنّه يُحدثُها جميعًا ، وهو بالإضافة إلى المعقول كالضّوء بالإضافة إلى الألوان يُحوّلها من ألوان بالقوّة إلى ألوان بالفعل ، وهذا العقل الفعّال هو القابل للمفارقة [...] ، وهو وحده من حيث هو كذلك خالد ودائِم ومن غير هذا فليس شيء يفكر(1).

وضّح **أرسطو** السّبب في الاختلاف بين كل من هاتين القوّتين بقوله :"لا توجد القوّة الحسيّة في الواقع مستقلّة عن الجسم أمّا العقل فهو مُفارق له"(2).

العقل عند **أرسطو** شرط أوّل للمعرفة أو بعبارة أُخرى استعداد فطري لابُدّ منه حتّى تتحقّق عمليّة الإدراك كما أنّ النّفس تكتسب مع الزّمن نوعًا من الخبرة الأخلاقيّة فتعتاد التّمييز بين الأفعال الّتي يجب القيّام بها ، والأفعال الّتي يجب الإحجام عنها.

يُطلق لفظ العقل عند الفلاسفة المسلمين على معانٍ كثيرة منها :

العقل جوهر بسيط مُدرك للأشياء بحقائِقها (**الكندي** رسالة في حدود الأشياء ورسومها)، ويطلق عليه **الفارابي** (185هـ- 805م/265هـ- 873م) القوّة العاقلة وجوهر بسيط مفارق للمادّة يبقى بعد موت البدن ، وهو جوهر أبدي هو الإنسان على الحقيقة (3).

قال **الفارابي** بمثل ما قال به **أرسطو** أي وجود عقل مفارق للبدن .

وقد قال **أبو نصر** :"ومن قوى النّفس العقل العلمي ، وهو الّذي يتم به جوهر النّفس ،ويصير جوهرًا عقليًا بالفعل ولهذا العقل مراتب يكون مرّة عقلاً هيولانيًا ،ومرّة عقلاً بالملكة ،ومرّة عقلاً مستفادًا وهذه القوى الّتي تُدرك المعقولات جوهر بسيط وليس بجسم ،ولا يخرج من القوّة إلى الفعل ولا يصير عقلاً تامًا إلّا بسبب عقل مفارق ، وهو العقل الفعّال (4).

يُعتبر العقل الفعّال الجوهر الّذي اتّفق عليه **الفارابي** ، وأخذ عنه أيضًا **ابن سينا**

Ibn sina /Avicenne/Avicenna(شهر صفر سنة 370ه- 980م/428ه – 1037م)

في القول بتدرج الوظائِف العقليّة في النّفس وقال مثله : إنّ كل عقل منها يعدُّ مادّة للعقل الّذي يليه وصورة للّذي يأتي قبله(5).

العقل الفعّال من شأنه أن يُخرج العقل الهيولاني من القوّة إلى الفعل بإشراقه عليه أي هو السّبب لكل ما هو بالقوّة عقل في أن يصير عقلاً(1).

---

(1) مراد وهبه ، المرجع السّابق ، ص 425.
(2) محمود قاسم ، في النّفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ، مكتبة الأنجلو المصريّة ،القاهرة ، ط3
2002 ، ص 195.
(3) جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات والشّواهد الفلسفيّة ، دار الجنوب للنّشر، تونس، د.ط 2004 ، ص 291.
(4) محمود قاسم ، المرجع السّابق ، ص 207.
(5) محمود قاسم ، المرجع السّابق ، ص 211.

كما أنّ نسبة العقل الفعّال في نفوسنا كنسبة الشّمس إلى أبصارنا ،فإنّ القوّة العقليّة إذا اطّلعت على الجزئيّات الّتي في الخيال وأشرق عليها نور العقل الفعّال فينا ...استحالت مجرّدة عن المادّة وعلائِقها وانطبعت في النّفس النّاطقة ،لا على أنّها نفسها تنتقل من التّخيل إلى العقل منّا ...،بل على معنى أنّ مطالعتها تُعِدُّ النّفس لأن يفيض عليها (المعنى) المجرّد من العقل الفعّال فإنّ الأفكار والتّأملات حركات معدّة للنّفس نحو قبول الفيض(2).

يتّضح أنّه بواسطة العقل الفعّال تُدرك حقائِق الأشياء ادراكًا مباشرًا ، وهذا ما يُطلق عليه الإدراك الصوفي أو الاتصال بالعالم الروحي ، وبالتّالي هو أمر خارج عن النّفس ، بل إنّ هذه الأخيرة تفيض عنه ، كما لا يتحقّق الاتصال بالعقل الفعّال إلّا لدى قليل من البشر .

يقول **الغزالي** (450ه- 1058م/505ه-1111م) العقل الفعّال قوّة إدراك الكليّات :"إنّ المتخيلات المحسوسة ما لم يحصل في الخيال لا يحصل منها المعاني الكليّة المجرّدة ، ولكنّها

في ابتداء الصبى تكون في حُكم الخاصّة في الخيال فوقع منها في النفوس المجرّدات الكليّة حتّى يأخذ من صورة زيد صورة الإنسان الكلي ،ومن صورة هذا الشّجر الشّجر الكلي وغير ذلك" ومعنى هذا النّص أنّ العقل الفعّال ينتزع الصورة المعقولة من الصورة الخياليّة ،فالصوّر الخياليّة تستضيء بالعقل الفعّال وبقوّته ،وتنتزع المعقولة فيها ،أمّا استضاءتها به فلأنّها تصير بقوّته أكثر استعدادًا لأن ينتزع منها المعاني المعقولة (3).

كان **الغزالي** من أنصار نظريّة الإشراق والفيض إذ يرى أنّ المعرفة الإنسانيّة إنّما تتم على صورة أنوار وأضواء تفيض من العقل الفعّال على النفوس البشريّة ، ومن جانب آخر هذه الأنوار أو الأضواء لا تفيض إلّا إذا كانت النّفس مستعدّة لقبولها .

لا يكتمل البحث دون إلقاء الضّوء على بعض الروّاد الّذين سُمُوا بالعقليين تيمنًا بالعقل وعلى رأسهم **ديكارت** (1650/1596) René Descartes الّذي قال :" العقل هو أحسن الأشياء توزُعًا بين النّاس (بالتّساوي) إذ يعتقد كل فرد أنّه أُوتي منه الكفاية ، حتّى الّذين لا يسهل عليهم أن يقنعوا بحظهم من شيء غيره ليس من عادتهم الرّغبة في الزيّادة لما لديهم منه ،وليس براجح أن يُخطئ الجميع في ذلك بل الرّاجح أن يشهد هذا بأنّ قوّة الإصابة في الحكم ،وتمييز الحق من الباطل وهي في الحقيقة الّتي تُسمّى بالعقل أو النطق تتساوى بين كل النّاس بالفطرة

---

(1) مراد وهبه ، المرجع السّابق ، ص 425.
(2) محمود قاسم ، المرجع السّابق، ص 212.
(3) مراد وهبه ، المرجع السّابق ، ص ص 425 ، 426.

,وكذلك يشهد بأنّ اختلاف آرائِنا لا ينشأ من أنّ البعض أعقل من البعض الآخر ،وإنّما ينشأ من أنّنا نوجه أفكارنا في طُرُق مُختلفة [...]" (1).

اعتبر **ديكارت** العقل مصدر المعرفة وعام مشترك لدى جميع النّاس أو بالأحرى فطري لدى جميع النّاس أمّا إذا وُجِد اختلاف في الآراء أو في التّحصيل لا يرجع إلى مسألة أنّ البعض أعقل من البعض الآخر ، أو أنّ البعض يملك عقلاً مميّزًا عن الآخر ، ولكن هذا الاختلاف في الآراء يرجع إلى كيفيّة قيّادة العقل ، فكما يملك كل إنسان عقلاً يملك كل إنسان طريقة خاصّة لقيّادته ، وهذا ما يجعل النّاس تختلف في الآراء .

استخدم **ديكارت** التّعبير الفرنسي Bon Sens ،وقصد به القُوّة اللّازمة لإجادة الحُكم أي لتمييز الحق من الباطل في النّظري والعملي، وللعقل عملان فكريّان أساسيّان وهما البداهة : Intuition والقيّاس :Déduction (2).

وهذا نجده في القاعدة الثّالثة من قواعد قيّادة العقل لديكارت.

وكما يجعل **ديكارت** للعقل أولويّة في تحصيل المعرفة فكذلك نجد **سبينوزا** Baruch Spinoza (1677/1632) قد استخدم العقل وسيلة للمعرفة ، ووسيلته على ضربين المعرفة الاستدلاليّة ولكنّها تتّصف بالنُقص لأنّها تقوم على ربط العلّة بالمعلول ، ثمّ المعرفة الحدسيّة المباشرة وتتّجه إلى الماهيّة فهي كاملة لأنّها تعتمد على الحدس العقلي المباشر ،إذ يبدو تأثير ديكارت واضحًا على **سبينوزا** عندما نظر إلى الفكر على أنّه يتمثّل في النفوس الإنسانيّة ، وأنّ الامتداد يتمثّل في الأجسام بحيث جعل المعرفة الحدسيّة العقليّة أرقى أنواع المعارف ،إذ يُقرر أنّ العقل هو من يُحدد وجود الجوهر الّذي لا يتناهى في أزليّته وهو الله تعالى (3).

يسعى **سبينوزا** في هذا الطّرح إلى تحرير الفهم من الإدراكات الحسيّة الغامضة المُضطربة ، وهذا ما بدا جليًا في كتابه **"الأخلاق Ethics"** ، بحيث يُرجع كل المعرفة إلى أمر جوهري هو العقل الّذي يعتمد على المعرفة الحدسيّة الّتي تُعِدُّ الحدس وسيلة للاطلاع المباشر على الحقائِق بدون وسائِط.

إذا كان عصر النّهضة بدأ بالفيلسوف الفرنسي **رينيه ديكارت** فإنّه يُختمُ بالفيلسوف الألماني **ليبنتز**Gottfried Wilhelm Von leibniz (1716/1646) الّذي جمع في مذهبه بين أنساق عديدة ، وأفكار متنوعة ومتفرقة حتّى أنّه قال :"لقد تأثّرت بمذهب جديد ، ومنذ ذلك الحين أظُنُني أرى وجهًا جديدًا لباطن الأشياء ، هذا المذهب يبدو جامعًا **أفلاطون** إلى **ديمقريطس** و**أرسطو** إلى **ديكارت** ، والمدرسيين إلى المُحدثين ، واللّاهوت والأخلاق إلى العقل(4).

---

(1) رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ترجمة محمود محمّد الخضيري ، مراجعة وتقديم محمّد مصطفى حلمي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنّشر ، القاهرة ، ط2، 1968، ص 109.
(2) رينيه ديكارت ، المرجع السّابق ، ص 109.
(3) إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر الإسكندريّة ، د.ط ، 2000 ، ص 212.
(4) إبراهيم مصطفى إبراهيم ، المرجع نفسه ، ص 222.

يلوح أنّه يأخذ الأفضل من كل صوب ، ثُمّ يمضي إلى أبعد ممّا مضوا فيه ، وإذا التفتنا إلى آثار الحقيقة هذه عند القدماء ، استخرجنا البتر من التراب ، والماس من المنجم ، والنور من الظلمات وأقمنا فلسفة دائِمة "(1).

وفّق **ليبنتز** بين الأضداد ورأى أنّ كل حقيقة واقعة هي في أساسها ذات طبيعة عقليّة أو روحيّة وكما أفضت فلسفة **ديكارت** و**سبينوزا** إلى القول بجوهر وحيد هو الله أو الطّبيعة بما هي كل ، فكذلك اعتقد **ليبنتز** بوجود عدد لا متناهٍ من الجواهر أطلق عليها المونادات Monads.

يُعتبر العقل في الفلسفة قدرة ذهنيّة يملكها الإنسان ، ويتميّز بها عن غيره من الكائِنات ومصطلح العقل يدل بالخصوص في الفلسفة على أشد مستويات التّفكير البشري تجريدًا فهو قائِم على التّجريد ، وإيجاد علاقات الارتباط والاقتران بين الأشياء والظّواهر كما تتجلّى في علاقات السببيّة والتّعليل .

تكلّم **كانط** Emmanuel Kant (1724-04-22/1804-02-12) عن العقل بصورة كبيرة في مؤلّفاته الثّلاث الشّهيرة :

- نقد **العقل الخالص** أو المجرّد 1781 : بحث كانط في هذا الكتاب مسألة العقل البشري بحيث هاجم فيه الميتافيزيقا التّقليديّة ونظريّة المعرفة الكلاسيكيّة .
- نقد **العقل العملي** 1788 : بحث فيه جانب الأخلاق والضّمير الإنساني .
- نقد **ملكة الحكم** 1790 : بحث فيه الجمال والغائِيّة(2) .

سعى كانط من خلال مؤلّفاته الثّلاث السّالفة الذكر معرفة حدود العقل البشري باعتباره الموضوع الجدير حقًا بالبحث الفلسفي ذلك لأنّه علينا أن نفحص الأداة **(العقل)** قبل أن نستخدمها في أي مجال للتّعرف على مدى صلاحيّتها للعمل وللتّخفيف من ادعاءاتها ، والحذر من بدايات الأُخرى غير الظّواهر المباشرة الموجودة في الزّمان والمكان .

أوضح كانط أنّ العقل الإنساني ليس مطلق القدرة بحيث يستطيع أن يُوقف كلّ شيء أمام محكمته ليصدر عليها حكمه ، ويقضي عليه بما يرى بل إنّ العقل الإنساني له حدود وهي الظّواهر وليس بوسعه أبدًا أن يتخطّاها ، وإلّا وقع في التّناقض .

وفي تصور آخر نجد أنّ العقل غير ثابت ليحكم جميع أنماط معرفتنا فهو نتيجة من نتائِج العلم وهذا ما نجده عند **غاستون باشلار** Gaston Bachelard(1884/1962) الّذي أطلق عليه اسم العقلانيّة التّطبيقيّة الّتي تتميّز بوقوعها بين المثاليّة السّاذجة والواقعيّة السّاذجة

---

(1) إبراهيم مصطفى إبراهيم ، المرجع السّابق ، ص 223.
(2) جيل دولوز ، فلسفة كانط النّقديّة ، تعريب أُسامة الحاج ، المُؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417ه/1997م ، ص ص 48 ، 50.

وتأتي بمثابة فلسفة العلم الّتي يقترن فيها الفكر القيّاسي بالتّجربة في ظل نوع من الهيمنة التّصويبيّة المستمرّة للفكر على التّجربة (1).

تميّز العقل عند باشلار بروح علميّة بحيث أسماه العقل العلمي حيث أنّ مساعي العقل معاصرة للعلم بحيث كل عمل في الثّقافة العلميّة يتّخذ وجهًا شخصيًا ، فيُصبح المرء بالضّرورة الذّات الواعيّة لفعل الفهم وإذا ما تجاوز فعل الفهم صعوبة ،فإنّ سرور الفهم يُعَوِّضُ كل المشقّات.

تعدّدت مفاهيم العقل فقد أُطلق على عدّة معانٍ منها:

- الوصف الّذي يفارق الإنسان به سائِر البهائِم .
- العلوم الّتي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائِزات واستحالة المستحيلات .
- علوم تستفاد من التّجارب بمجاري الأحوال ،ومن حنّكته التّجارب وهذّبته المذاهب يقال إنّه عاقل.
- تنتهي قوّة الغريزة وقمع الشّهوة الدّاعيّة إلى اللذّة العاجلة وقهرها.

والسؤال المطروح : من أين جاء العقل ؟ وكيف يعمل جسديًا وروحيًا ووهمًا وخيالاً ؟

مع أنّ الطب تقدّم تقدمًا كبيرًا في مجال التّشريح ، والتّحليل والتّصوير لكافّة أعضاء وأقسام الجسم البشري لا يزال عاجزًا عن اكتشاف العقل ومدى ارتباطه من النّاحيّة الروحيّة بالدماغ .

الفصل الثّانى :

الفلسفة التّطبيقيّة وقضايا العقل

[مقاربات معاصرة]

(1) غاستون باشلار ، العقلانيّة التّطبيقيّة ، ترجمة بسّام الهاشم ، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع ، ط1 1405ه/1984م ، ص09.

2-1- إشكالات العقل في الفلسفة التّطبيقيّة.

2-2- أخلاقيّات الجراحة العصبيّة.

2-3- أخلاقيّات الأدويّة والجهاز العصبي.

2-4- الموقف الإتيقي من موت الدماغ.

2-5- الممارسة الأخلاقيّة مع المرضى النّفسانيين والعقلانيين.

الفصل الثّاني : الفلسفة التّطبيقيّة وقضايا العقل [مقاربات معاصرة]

منذ القديم والتقدم العلمي يُثير ليس فقط إعجاب الإنسان وانبهاره ولكن أيضًا تخوفه غير أنّ التّطور المُتسارع الّذي عرفته ميادين الطب والبيولوجيا خلال العقود الأخيرة فاق كل التّوقعات فقد مكّن ذلك التقدم ، وخاصّة في ميادين الصناعة الدّوائِيّة ، ومعالجة الأمراض والأوبِئة ومخلّفات الحوادث وزيّادة أمد الحياة ممّا أدّى إلى تقويّة ما يعقده النّاس من آمال في الطب والعلاج وازدياد ثقتهم في التقدم العلمي والتكنولوجي الحاصل في تلك الميادين ، وهذا التقدم طال ميادين علوم الحياة وتحكّم في الجسم والجهاز العصبي ، وفتح أمام الإنسان في الوقت الرّاهن آفاقًا واعدة على مستوى الحفاظ على الصحّة وقهر المرض والاستمتاع بالحياة مدّة أطول ,ولكنّه في المقابل جعل المجتمعات البشريّة تواجه وضعيّات غير مسبوقة ، وطرح عليها إشكاليّات جديدة ووضعها أمام اختيّارات صعبة ، ويفرض كل ذلك مجموعة من التّساؤلات الّتي تُشخص هذه المشكلات: هل من المسموح أن نضع حدًا لحياة أشخاص يكونون على مشارف الموت يعانون آلام مُبرحة ولا أمل في شفائِهم ؟ وما هي الحدود الّتي يجب الوقوف عندها فيما يتعلّق بالتّصرف في الجهاز العصبي البشري ؟ وهل يمكننا إجراء تجارب على الأشخاص بدون إذنهم خاصّة عندما تُصبح التّجارب على الحيوانات غير كافيّة لتحقيق أهداف الطب ؟

المبحث الأوّل : إشكالات العقل في الفلسفة التّطبيقيّة

منذ العقد الماضي بات العلماء والعامّة من النّاس ، وأهل السيّاسة على وعي متزايد بأهميّة الأخلاقيّات في البحث العلمي ، وثمّة توجهات عديدة ساهمت في دفع هذا الاهتمام المتنامي فأولاً تُغطي الصّحافة حكايات عن مسائِل أخلاقيّة مُثارة في العلم ، مثلاً تجارب سريّة لحكومة الولايات المتّحدة على الكائِنات البشريّة أثناء الحرب الباردة والهندسة الوراثيّة ، ومشروع الجينوم البشري ودراسات في الأساس الوراثي للذّكاء ، واستنساخ الأجنّة البشريّة والحيوانيّة ،

واحترار الكرة الأرضيّة ، وثانيًا نجد العلماء والمسؤولين في الحكومة قد بحثوا ، ووثّقوا بعض حالات السلوك الأخلاقي السّيء(1) .

أصدروا أحكامًا عليها ، وذلك في ميادين كثيرة في البحث العلمي على أنّ الافتقار إلى الأخلاقيّات في العلم دائِمًا ما يهدد سلامة واستقرار البحث ، وتضمّنت حالات الانحراف هذه الادعاء بالانتحال والخداع ، وانتهاكات القانون وسوء إدارة التمويل ، استغلال المرؤوسين انتهاكات في مجال توليفات الشّفرة الوراثيّة (DNA) والانحياز و صراع المصالح ، ومشاكل أُخرى عديدة داخل المختبر الجنائِي الفيدرالي لكن على الرغم من اتساع حجم الشّواهد اللّأخلاقيّة في البحث العلمي فإنّ المعطيات مازالت تُشير إلى أنّ الانحراف في العلم أقل من الانحراف في مهن كثيرة ، وهذا العلم يعني به الثّورة العقليّة الّتي ستُحدِث نُمُوًا هائِلاً في الذّكاء وغيره من المهارات الجسمانيّة والعقليّة ، فالنّوم والهلاوس والعدوان والقوّة الجنسيّة والكثير من الأهواء والأمزجة والحالات العقليّة الهامّة بالنسبة لسباق النّجاح ستُصبِحُ سلعًا تُباع وتُشترى(2).

هذا يعني أنّ الكثير من الحالات العقليّة يُمكن التّحكم فيها تحكُمًا تامًا بوسائِل ماديّة هذه الوسائِل لا تزال في المهد ، ولكنّ الثّورة العقليّة تتقدّم وستنضج في وقت قصير جدًا ، والحالات العقليّة هي احدى حقائِق الحياة بل تُعتبر حقيقة الحقائِق كلها وعبّر عنها الفيلسوف الفرنسي ديكارت أبلغ تعبير حين قال **"أنا أُفكر إذن أنا موجود".**

بعد أن كانت فكرة البقاء للأصلح في الحياة البدائِيّة حلّت في مكانها أي في العصر المعاصر فكرة النّجاح للأصلح ، والأصلح في هذا العصر نعني به الأكثر ذكاءًا ، والّذي سيكون سببًا في أعمال العنف خاصّة بعد تطور التكنولوجيا الّتي بدورها طوّرت أدوات الحرب الحديثة الّتي بوسعها أن تدمِّر الإنسانيّة كلها على سطح الأرض سواءًا بالأسلحة النّوويّة أو الكيماويّة أو البكتريولوجيّة ، حيث أنّ الصراع من أجل النّجاح يدخل مرحلة جديدة ، ويتّسع استخدام قدرات العقل في اتجاهات عديدة إذ ليس من المدهش عندما تجد صديقك الّذي تُحدِّثُه قد ثبّت قطعة صغيرة من المعدن في أعماق مخه لتتحكّم في نوبات العدوان الإجرامي الّتي تنتابه(3).

الفكرة تعني أنّ الانتخاب الطّبيعي لا زال حاضرًا بمنظار البقاء للأصلح من خلال النّجاح للأصلح ، وهذا الأصلح كما أُشير سابِقًا هو الأذكى بالتّأكيد.

نشأت القنابل الذريّة الّتي أُلقيت على اليابان وقتلت آلاف النّاس عن الأساليب الّتي ابتدعت لفهم طبيعة الضّوء ، ونواة الذرّة ، وهناك أيضًا تقدم عام سريع في فهم مجالات متعددة في علم الحياة كالوراثة والشّيخوخة ، وزرع الأنسجة فهل هناك حاجة إلى التّحكم في تقدم تلك الكشوف بواسطة سلطة مركزيّة ما قبل أن يُساء استخدامها بصورة مرعبة ؟

---

(1) جون ج تايلور ، عقول المستقبل ، ترجمة لطفي فطيم ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب الكويت ، د.ط ، 1985 ، ص16.
(2) جون ج تايلور ، المرجع السّابق ، ص 16.
(3) جون ج تايلور ، المرجع نفسه ، ص ص 16 ،17.

أنتجت الثّورة العقليّة بحوثًا عاليّة التّطور أضافت الامتياز في ميدان التّقدم العلمي لكنّ المجتمع لا ينفك أن يتعرّف على هذه البحوث وآثارها حتّى يجد نفسه يُعالج في إشكاليّات تُطرح إزاء تطبيق هذه البحوث الّتي كان بصدد التّعرف عليها ، لذلك وجب التّأني في تطبيق هذه الأبحاث حتّى يكون المجتمع والإنسانيّة بأسرها مستعدّة لمثل هذا النّوع من البحوث على جميع الأصعدة.

وهذا هو ما يُسمّى بالضّرر الّذي أنتجه التّقدم التكنولوجي ، وسيركز البحث في هذا المجال على الميدان الطبي ، بحيث يُعدُّ العمل الطبي نشاط يتّفق في كيفيّة ،وظروف مباشرته مع القواعد العامّة المقرّرة في علم الطب ، ويتّجه في ذاته ، أي وفق المجرى العادي للأُمور إلى شفاء المريض والأصل في العمل الطبي أن يكون علاجيًا أي يستهدف التّخليص من المرض أو تخفيف حدّته ، أو مجرّد تخفيف آلامه(1).

يعد العمل البي عملاً قدسيًا لأنّه يتعامل مع حياة بشر ، وهذه الحياة لها قدسيّتها ,وبهذا فالطّبيب بوصفه المسؤول الأوّل عن التّطبيب , ومنذ قسم **بقراط** هو يتحمّل مسؤوليّة طبيّة ، فما مفهوم المسؤوليّة الطبيّة ؟

أولا: المسؤوليّة

لغة : اسم مفعول منسوب إليه مأخوذ من سأل يسأل سؤالاً ، واسم الفاعل من سأل سائِل وجمعها سائِلون ، واسم المفعول مسؤول وجمعها مسؤولون ، وفعل الأمر من سأل اسأل وسل .

لفظ سأل له عدّة معانٍ منها:

1) الطلب : تقول سأل الشّيء أي طلبه منه .
2) الاستعطاء : تقول سأله أي طلب معروفه وإحسانه قال الله تعالى: "وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ" **محمّد36.**
3) المُؤاخذة : فالمسؤوليّة مصدر من سَاءَلَ يُسَائِلُ فهو مُسَاءَلْ أي مُؤَاخَذْ قال الله تعالى : " فَوَرَبِكَ لَنَسْأَلَنّهُمْ أَجْمَعِيْنَ عَمّا كَانُوْا يَعْمَلُوْن " **الحجر92.**

أمّا اصطلاحًا : تعدّدت تعريفات المسؤوليّة لكن هناك تعريف عام يقول عنها :" المسؤوليّة كون المكلّف مُؤاخذًا بتبعات تصرفاته غير المشروعة "(2).

(1) أحلوش بولحبال زينب ، رضا المريض في التّصرفات الطبيّة ، إشراف د. شعبان حنيفة ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الحقوق ، فرع العقود والمسؤوليّة , كليّة الحقوق ، جامعة الجزائِر ، السّنة الجامعيّة 2001/2000 ، ص 07.
(2) مازن مصباح صباح ونائِل محمّد يحي ، بحث حول المسؤوليّة الجنائيّة عن خطأ التّطبيب ، دراسة فقهيّة مقارنة ، جامعة الأزهر ، غزّة (مأخوذ عن مجلّة الجامعة الإسلاميّة للدراسات الإسلاميّة ، المجلّد العشرون ، العدد الثّاني ، يونيو ، 2012 ، ص ص99 ، 143.

(الشكل10)

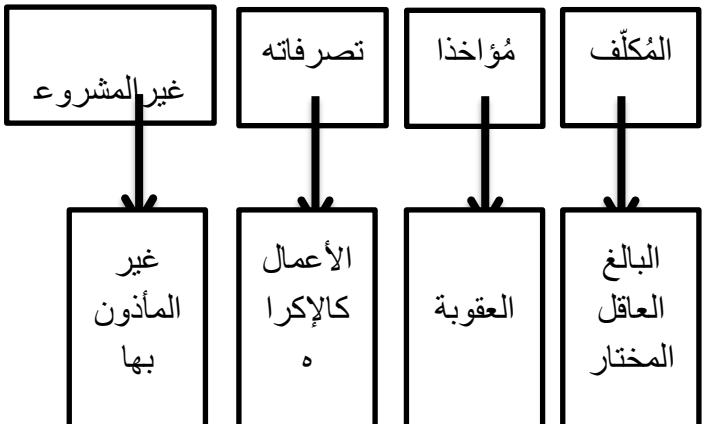

لاشكّ أنّ المسؤوليّة مرتبطة بالإنسان في كل يوم بالإنسان سواء على المستوى الفردي أو الجماعي تلازمه مسؤوليّة .

تنقسم المسؤوليّة إلى قسمين :

1) إذا أُرتُكب أمر مخالف لقواعد الأخلاق والآداب وُصفت مسؤوليّة الفاعل بأنّها مسؤوليّة أدبيّة.
2) إذا كان القانون يُوجب المُؤاخذة والمُساءلة على الفعل ، فإنّ مسؤوليّة الفاعل لاتقف عند حدود المسؤوليّة الأدبيّة ، بل تكون فوق ذلك مسؤوليّة قانونيّة تستتبع جزاءًا قانونيًا ،وهذا الجزاء القانوني الّذي يستتبع قيّام المسؤوليّة القانونيّة قد يتمثّل في العقوبة والجزاء ، ويُقصد به المسؤوليّة الجنائِيّة ، أو قد يقتصر على التّعويض ، وهو ما يُقصد به المسؤوليّة المدنيّة(1).

(الشكل11)

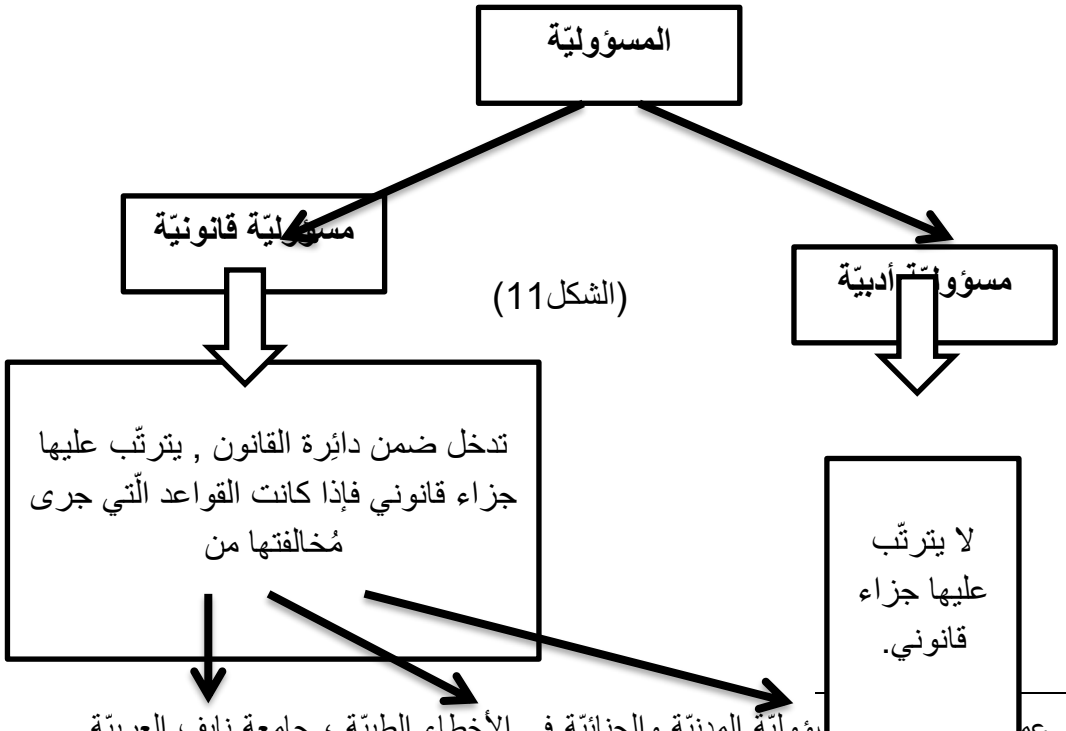

(1) منصور عمر المعايطة ، المسؤوليّة المدنيّة والجنائِيّة في الأخطاء الطبيّة ، جامعة نايف العربيّة للعلوم الأمنيّة ، مركز الدراسات والبحوث ، الريّاض ، ط1 ، 1425ه/2004م ، ص ص 33 ،34.

حظي موضوع المسؤوليّة باهتمام الفقه والقانون في العصر الحديث ، وتوسّع نطاقه نظرًا للتّوسع العلمي والتّطور الّذي شهده الطب من اكتشاف للأجهزة والمعدّات الّتي ساهمت في علاج

الكثير من الأمراض ، وساهم هذا التّطور والتّقدم في مجال الطب تزايد وتنوع الأخطاء الّتي تقع من قبل الأطبّاء ، لكنّ الأخطاء الطبيّة ليست وليدة السّاعة ، بل لازمت الطب منذ القدم ، ولعلّ أقدم التّشريعات الّتي اهتمّت بها تشريع حمورابي حيث نصّت المادّة 28 من هذا القانون على مايلي :" إذا عالج الطّبيب رجلاً حرًا من جرح خطير بمشرط من البرونز وتسبّب بذلك في موت

الرّجل ، أو إذا فتح خراجًا في عينه وتسبّب بذلك في فقد عينه تُقطعُ يداه " (1).

ينص هذا القانون بصفة مباشرة على العقوبة الّتي تترتّب على الخطأ الّذي يقع فيه الطّبيب حتّى ولو لم يكن متعمدًا ، وذلك كما أُشير سابقًا لأهميّة الحياة كون موضوع الدراسة في هذا الميدان هو موضوع حسّاس، وإن كان التّطور العلمي في مجال الطب قد ساهم في علاج حالات مستعصيّة لكن لا ننسى أنّ الله هو المُسبب قال الله تعالى :"إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْن" **الشعراء 80** ، إذن ينبغي أن لا نعتقد في السّبب وننسى المسبب.

انطلاقًا ممّا سبق ما مفهوم **الخطأ؟**

الخطأ لغة: ضدّ الصّواب ، كما يُقال إنّه أخطأ إذا سلك سبيلاً مُخالفًا للمسلك الصّحيح عامدًا أو غير عامد ، وقد عرّف بعض الفقهاء الخطأ بقولهم هو ما ليس للإنسان فيه قصد فانتفاء قصد الشّيء لفاعله موجب لوصفه مخطئًا (2).

ويُعرّف الخطأ الطبي La faute médicale بأنّه كل مخالفة أو خروج من الطّبيب في سلوكه على القواعد والأُصول الطبيّة الّتي يقتضي بها العلم ، أو المتعارف عليها نظريًا وعمليًا وقت تنفيذه للعمل الطبي أو اخلاله بواجبات الحيطة واليقظة الّتي يفرضها القانون

---

(1) الملتقى الوطني حول المسؤوليّة الطبيّة ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كليّة الحقوق ، يومي 23 و 24 جانفي 2008, ص 02.
(2) منصور عمر المعايطة ، المرجع السّابق ، ص43.

متى ترتّب على فعله نتائِج جسيمة ، في حين كان في قُدرته وواجبًا عليه أن يتّخذ في تصرفه اليقظة والتّبصر حتّى لا يُضرّ بالمريض (1).

هذا التّعريف يتناول جانبين هامّين أساسيين للمساءلة الطبيّة (2)

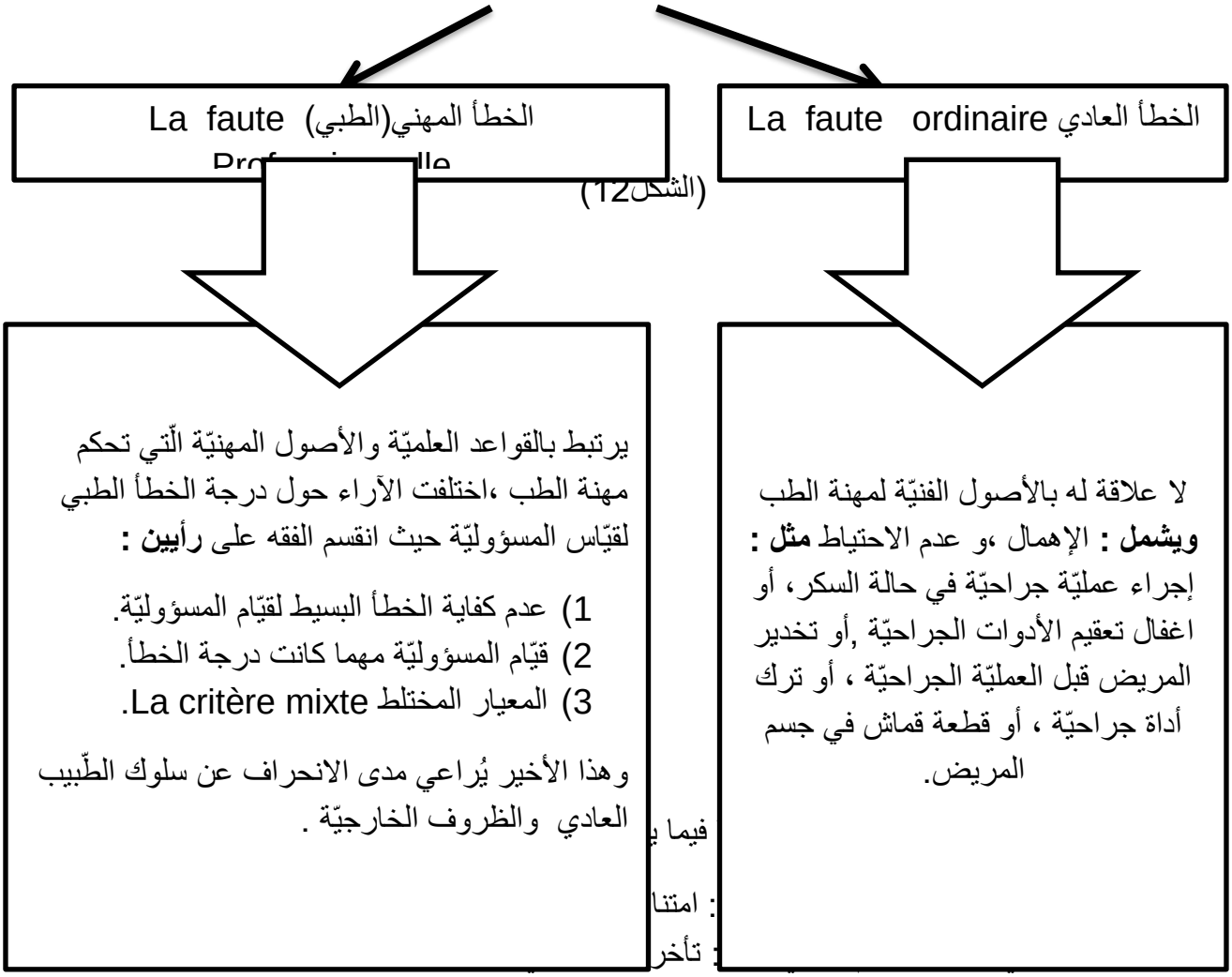

(الشكل12)

فيما ي

: امتنا

: تأخر

الجنين نتيجة تأخر الطّبيب في إجراء العمليّة للحامل.

- التّنفيذ المُعيب للالتزام الطبي مثل : قيّام الطّبيب بعمليّة جراحيّة للمريض ، ونسيان قطعة من القماش في بطن المريض.
- التّنفيذ الجزئي للالتزام الطبي مثل : إجراء عمليّة ، وعدم الإشراف على عمليّة الإفاقة بعد العمليّة الجراحيّة(3).

---

(1) جمليل صالح ، المسؤوليّة الجزائِيّة الطبيّة ، دراسة مقارنة ، ورقة بحث مقدّمة في إطار الملتقى الوطني المنظّم من طرف كليّة الحقوق بجامعة مولود معمري ، تيزي وزو المنعقد في 23-2008/01/24 ، "الجامعة الإفريقيّة العقيد أحمد دراية ، أدرار ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، قسم الحقوق ، ص ص 09 ،10.

(2) جمليل صالح ، المرجع نفسه ، ص 10.

(3) منصور عمر المعايطة ، المرجع السّابق ، ص ص 46 ،47.

بات من الضّروري كفالة الاستقرار والطمأنينة سواء بالنسبة للأطبّاء في مواجهة قواعد المسؤوليّة أو بالنسبة للمرضى في كفاحهم ضدّ الآلام ، ومخاطر العلاج المقترح والأضرار وفي هذا السيّاق وجب الحديث عن **الضّرر** الّذي يكون نتيجة أخطاء بغض النّظر عن طبيعة الخطأ: **الضّرر Le Préjudice** استقرّ غالبيّة الفقه على تعريف الضّرر بأنّه حالة نتجت عن فعل طبي مسّت بالأذى المريض وقد يستتبع ذلك نقصًا في حالة المريض ، أو في معنويّاته ، أو في عواطفه والضّرر في هذه الحالة لا يختلف عن الضّرر في الأحوال ، والقواعد العامّة فما هي إذًا شروطه وأنواعه في المسؤوليّة الجزائِيّة الطبيّة ؟

شروط الضّرر أربع هي :

1) أن يكون الضّرر مباشرًا كوفاة المريض نتيجة خطأ طبي.
2) أن يكون الضّرر محقّقًا أي الضّرر لم يقع في الحال ، ولكنّه محقّق الوقوع في المستقبل كحدوث الضّرر للمريض جزاء خطأ الطّبيب.
3) أن يمسّ مصلحة مشروعة ، وهي غالبًا ما تكون حياة الإنسان.
4) أن يكون شخصيًا(1).

أدرك المجتمع العالمي منذ أربعينيّات القرن العشرين ، أنّه على وشك أن يدخل عصرًا جديدًا يحتاج فيه إلى جهود الفلاسفة لكي يتولوا الإجابة على الأخلاقيّة المهمّة الّتي ظهرت نتيجة للتّطورات العلميّة الحديثة ، فالعلم أخذ يسيطر بالتّدريج على معظم مجالات الحياة إن لم يشملها جميعًا وعلى الرغم من أن يتّصف بالحيّاد من النّاحية الأخلاقيّة ، فإنّ تأثيره كبير على الحياة الإجتماعيّة وعلى فكر الإنسان ، فهو بقدر ما يخدم ذلك الإنسان لحل مشاكله العمليّة يقدم له قوّة يمكن أن يسيطر بها على حياته وعلى الآخرين(2).

موضوع الأخطاء الطبيّة من الإشكالات الّتي يعالجها العقل في الفلسفة التّطبيقيّة ، وبصفة خاصّة الأخلاق الطبيّة ، وهو موضوع حيوي هام ازداد بحثه وتناوله عبر الفضائِيّات والصحف والمجلات في الآونة الأخيرة ، وهو يعالج قضيّة شغلت بال الدوّل والأفراد والمُؤسّسات الصحيّة والقضائِيّة وغيرها منذ القدم ، وازدادت أهميّة هذا الموضوع في أيّامنا لازديّاد وتيرة هذه الأخطاء نتيجة التّقدم التكنولوجي ، وتنوع الأمراض والأسقام ، وكذلك كثرة الخريجين ، وعدم تدريبهم وتأهيلهم تأهيلاً جيدًا ، أضف إلى ذلك تنوع العلاجات الطبيّة واتخاذها أكثر من منحى فمن الطب التّقليدي المعروف إلى الطب المتطور الّذي تستخدم فيه الأجهزة الطبيّة المتطورة ، كما تستخدم فيه الأشعّة بأنواعها المختلفة ،وكذلك زراعة الأعضاء وعمليّات التّجميل المختلفة، فخلق هذا كله مناخًا ملائِمًا للوقوع في الأخطاء الطبيّة ، وحصولها في كثير من الأحايين ، ولا ننسى الطب الصناعي الّذي يعتمد على تزويد المريض بأعضاء وأطراف وأسنان صناعيّة بديلاً عن أعضائِه وأطرافه الطّبيعيّة المُصابة ، وما يترتّب على ذلك من

---

(1) جمليل صالح ، المرجع السّابق ، ص ص 11 ،12.
(2) عبّاس محمّد حسن سليمان , مدخل إلى الفلسفة في القرن الحادي والعشرين , دار المعرفة الجامعيّة طبع نشر توزيع , جامعة الإسكندريّة , د.ط , 2011, ص 193.

مضاعفات أحيانًا ، كما لجأ كثير من المرضى إلى الطب البديل ، وهو التّداوي بالأعشاب الطّبيعيّة ، والاستعانة بالطب الصيني كالوخز بالإبر ، والأعشاب الصينيّة إلى غير ذلك.

تزايد الأخطاء الطبيّة ولّد صراع محتدم بين الأطبّاء ، والمشافي وشركات التّأمين من جهة ،وبين المحامين القانونيين والمؤسّسات القضائِيّة الّتي تُدافع عن حقوق المرضى ضحايا الأخطاء الطبيّة من جهة أُخرى ، وتُطالب المؤسّسات الصحيّة ، والأطبّاء والشّركات بتعويضات ماليّة ضخمة أصبحت تقلق الأوساط الطبيّة ،وتدفع بعض الأطبّاء إلى ترك وظائِفهم خوفًا من دفع تعويضات.

المبحث الثّاني : أخلاقيّات الجراحة العصبيّة

قبل ولوج معالجة هذا الموضوع وجب الإشارة إلى بعض المفاهيم : (الشكل13)

المفهوم	**الدماغ Encéphale**	**الذهن Intellect**	**العقل Raison**	**الوعي Conscience**	**الفكر Pensée**
الدّلالة	عضو(آلة الإدراك)، والعاطفة ، مصدر العمليّات العصبيّة الّتي تقوم بها الخلايا العصبيّة وأعضاء الحواس تلقائِيًا وقوام هذه العمليّات تغيرات في الطّاقة الكيماويّة والكهربائِيّة, تعمل فيها هرمونات خصوصيّة للخلايا العصبيّة ولا علاقة لها بالخير والشّر(1).	مجموعة النّشاطات الّتي يقوم بها الدماغ كالإدراك والتّفكير والحس وغيرهامن الوظائِف الظّاهرة نتيجة العمليّات العصبيّة في الدماغ أرافقها الوعي أم لم يرافقها.	حال ثابت من التّوازن بين التّفكير والعاطفة الّذي يصوغ الشّخصيّة السّوية والفكر لا يُرادف العقل فليس كل مفكر عاقل ، وليس كل عاقل عبقري ولربّما كان العاقل عبقريًا أحيانًا أو العبقري عاقلاً والمنطق لا يرادف العقل فالمنطق ملكة أو قدرة التّحليل	جاءت كلمة الوعي في اللغة العربيّة من الوعاء لتتضمّن الإحتواء ، بمعنى جمع الشّيء، وحفظه مع تمثله وفهمه وإضماره وتترادف كلمة الوعي مع كلمة الوجدان فالوجدان هو كل ما يجده الإنسان في وعاء ذاته عقليًا أو مدركًا أو لا عقليًا باطنًا يُدرك بالقوى الباطنة في الإنسان وهذا التّقارب نجده في اللغة الإنكليزيّة بين الوعي Conscionsnessكوجد ان وبين كلمة ضمير Conscienceالّتي تعني الطويّة الّتي ينطوي عليها الإنسان أو شعوره.	تعني كلمة فكر باللغة العربيّة :"إعمال الخاطر في الشّيء" كما يعني التّفكر التّأمل ويقول الجرجاني : الفكر هو ترتيب أُمور معلومة للتّأدي إلى المجهول. الاستدلال في بنية المنطق يحتم علينا الانتقال من المعلوم إلى المجهول ،وترتيب عمليّة هذاالانتقال هي الفكر(2) .

(1) إبراهيم فريد الدُر ، الأسُس البيولوجيّة لسلوك الإنسان ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط1، 1983، ص308.

(2) هاني يحي نصري ، الفكر والوعي بين الجهل والوهم والجمال والحريّة ، المُؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع ، بيروت ، ط1، 1418ه/ 1998م ، ص 17.

الحقل	البيولوجيا	الإبستمولوجيا	البيوإتيقا	الأكسيولوجيا	الأنطلوجيا

الجهاز العصبي لا يُساعد على البقاء فحسب بل هو ما يجعلنا نتمتّع بالألوان والعطور والأنغام و الجمال وصيّاغة كل فكر وخيال ، فهو في الحقيقة جوهر الإنسان ، أو الإنسان ذاته لأنّ بقيّة أعضاء الإنسان لا تميّزه عن غيره من الحيوانات ، و الثّدييات منها بشكل خاص في حين أنّ الجهاز العصبي لا يجعله متميزًا عنها فحسب بل يمنحه حق الافتخار والاعتزاز، ولا يكتفي الجهاز العصبي البشري برفع الإنسان إلى أعلى مكانة في العالم المادي ، بل يفتح أمامه عالمًا آخر خاصًا به هو عالم الأفكار والاختيّارات ، ويمنحه امتيّاز الوعي بالعالم وبذاته(1).

يُعتبر التصرف في الجهاز العصبي ، ومحاولة التّحكم في العقل الإنساني من أخطر إجراءات الطب والبيولوجيا الّتي تطرح أعوص الإشكالات ، وتثير أعنف الجدالات ، وتستدعي بالتّالي استنكار لجان الأخلاقيّات ، وكل الّذين يرون ضرورة إخضاع أبحاث وتجارب الطب والبيولوجيا للمعايير الأخلاقيّة ولقواعد القانون ، ومبادئ حقوق الإنسان ، وقبل الولوج للإشكالات الأخلاقيّة الّتي تطرحها محاولات التّحكم في الجهاز العصبي وجب الحديث عن الخطوات الّتي قطعها البحث في هذا الميدان ، إذ لم يهتم العلم بالدماغ بشكل جدي باعتباره عضو مركزي إلّا منذ قرنين من الآن، ومن أهم الخطوات الّتي تدل على تطور البحث في هذا الميدان هو تبلور **علوم الجهاز العصبي** Neurosciences (*) ، وتطور مجال التّصوير الطبي للدماغ مثل : السكانير وتصوير الدماغ اعتمادًا على الذبذبات المغناطيسيّة ، والرّسم الطّبقي الّذي يبرز مختلف جهات وأوضاع الدماغ(2).

كثُرت التّخصصات وتطوّرت الأجهزة والتقنيّات ، وأبرز دليل على ذلك المحاولات الجادّة الّتي قام بها العلماء في ميدان الجراحة الوظيفيّة كجراحة الصّرع ، وعلاج الآلام المتعلقة بالمهاد البصري في الدماغ ، وحالة العته المعروف بالزهايمر .

لم يتوقّف البحث على معالجة الأمراض المذكورة سابقًا فقط بل تعدّاه إلى أفكار غير مُتوقّعة أُخرى كفكرة زراعة المخ ، وهو الفكرة الّتي تبلورت لعلاج الأطفال المتخلفين عقليًا والشيوخ الّذين تعرف قُدراتهم العقليّة تراجعًا سريعًا ، ولكنّ الأمر حال دون تحقيق ذلك بسبب

---

(1) إبراهيم فريد الدُر، المرجع السّابق ، ص 45.

(*) علوم الجهاز العصبيNeurosciences: مصطلح فرضه تعدد تخصصات الدراسات المعاصرة للدماغ , وأهم هذه التخصصات علم الأعصاب الإكلنيكي , الفيزيولوجيا العصبيّة , علم تشريح الأعصاب , الكيمياء العصبيّة , علم النّفس العصبي , علم النّفس العقاقيري ...نقلاً عن عمر بوفتاس البيوإتيقا (الأخلاقيّات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا), أفريقيا الشّرق , المغرب ,ج1 2011, ص 177.

(2) عمر بوفتاس ، المرجع نفسه ، ص 177.

كثرة النهايات العصبيّة ، سواءًا تلك الّتي تنطلق من المخ ، أو تلك الّتي تنتهي إليه ممّا يحول دون تحقيق كل أشكال الرّبط اللّازمة لذلك(1).

يبدو أنّ فكرة زراعة مخ جديد هي فكرة ضدّ الطّبيعة كما يقول بعض الفلاسفة ، والأهم ضدّ مشيئة الله ، فالله هو من أراد أن يأتي الطفل متخلفًا إلى هذا العالم ضِف إلى ذلك أنّ عقل الشّيخ بحكم الزّمن وبحكم الأحداث الّتي مرّت عليه سواءًا سيّئة أو جيدة يفقد بعضًا من قدراته وهذه سنّة الله في خلقه ، وينتهي الشّخص حين تحين ساعته ، وحتّى لو تمكّنا من الاحتفاظ بعقل أينشتاين بهدف الإبقاء على حياة مخه بعد موته فهل بهذا احتفظنا بذكائِه بشكل كامل وسليم ؟ وما فائِدة مخ في وعاء زجاجي ؟ وهل الحياة تتعلّق بعقل دون جسد ؟

هذه التّساؤلات من أكبر الانشغالات الّتي يُمكن القول أنّ العقل وقف عندها ولم يجد لها حل لكنّ حلم تجديد الدماغ لم يتوقّف فقد استدعى بعض علماء الأعصاب الأمريكيين الطّبيب الفرنسي الرّائِد في زرع القلب **كريستيان بارنار** C. Barnard لاستشارته في زرع رؤوس بشريّة وهو أمر لم يتحقّق ، كما حقّق الجرّاح الروسي **ديميخوف** Demikhov الشهرة بعد نجاحه في زرع رأس كلب لكلب آخر , وهي تجربة لم تعرف لا استمراريّة ، ولا أهميّة علميّة (2).

كما يطمح ملازمي الكراسي المتحركة الّذين تعرّضوا لكسر في العمود الفقري لإمكانيّة يستعيد بها نخاعهم الشّوكي نشاطه العادي ، وما يُنتظر تحقيقه في مجال زرع **الخلايا الجذعيّة** (*) قد يُعيد إليهم الأمل في ترميم النخاع الشّوكي المُصاب .

تبلورت فكرة الخلايا الجذعية الجنينيّة ، وهي خلايا لم تتخصّص بعد ، وهي تؤخذ من الأطفال والأجنّة وتقتضي أن يتم الاقتطاع والدماغ يمارس نشاطه كاملاً ، فالخلايا العصبيّة كما هو معلوم يُصيبها التّلف بسرعة بعد موت الفرد ، كي تُحقن في دماغ المريض لتدارك ما قد يكون أصابه من ضعف وتدهور ، وهنا تُوضع الإنسانيّة على المحك ، فهذا الجانب يرتبط بتغيير شخصيّة الإنسان ، ومس كرامة وحقوق الأجنّة ، إضافة إلى الأضرار الخطيرة والّتي لا رجعة فيها بالنسبة للّذين تُجرى عليهم مثل هذه العمليّات (3).

وكل هذا لا يعني تكبيل العقل وكفه عن التّفكير في هذا المجال ، لكن وجب أخذ الحيطة والحذر في مثل هذه الأُمور ، لأنّ هذا الموضوع يطرح الإنسان موضوعًا له ، وفي الشّرع دعوة صريحة لاستخدام العقل ، وليس هناك دليل أدل من كتاب الله عزّ وجلّ:" هَلْ يَسْتَوِي الّذِيْنَ يَعْلَمُونَ وَالّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنْ " **الزمر08** ، " وقل أُنْظُرُوا مَاذَا فِي اَلْسّمَوَاتِ وَاَلْأَرْض "

---

(1) عمر بوفتاس ، المرجع السّابق ، ص 180.
(2) عمر بوفتاس ، المرجع نفسه ، ص 181.
(*) الخليّة الجذعيّة : خليّة غير متمايزة Undifferentiate أي غير متخصصة لها صفات خاصّة جدًا تميّزها عن جميع الخلايا أسماها البعض الخليّة السحريّة The magic cell " مأخوذ عن خالد أحمد الزعيري , الخليّة الجذعيّة ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب الكويت ، فبراير ، د.ط، 2008، ص51".
(3) عمر بوفتاس، المرجع السّابق ، ص 184.

يونس 101، " وَقُلْ سِيْرُوْا فِي اَلْأَرْضْ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اَلْخَلْقْ " **العنكبوت 20** ، " وَيَجْعَلُ اَلْرِّجْسَ عَلَى الّذِيْنَ لَا يَعْقِلُوْنْ " **يونس 100** .

هذه الآيات من كتاب الله تدل على أنّ العقل مناط التّكليف ، ولا حدود للعقل بحيث وجب استعماله والتّدبر به ، ولكن هذا لا يعني الانفلات عن قيود الأخلاق والمجتمع والعقائِد فلكل مجتمع عاداته وأخلاقه وقيّمه ، وكل مجتمع يختلف في ذلك عن الآخر ، لكنّ جل المجتمعات تتّفق في قدسيّة الحياة ، وكرامة الإنسان وبهذا الصّدد يمكن القول أنّ البيولوجيا جعلت العلم يبوء بالإثم لأنّها مسّت أعمق مصادر الحياة ، وأحدثت ثورة علميّة طويلة الأمد ستدور حولها أحداث القرن الواحد والعشرين ، فحجّة العلم تطوّر بهذا الشّكل ليُكافح الأمراض عبّر عنها **هنري بوانكاريه** في مؤلّفه الشّهير: " قيمة العلم La valeur du sciense " قائِلاً :" لا يمكن أن يوجد علم لا أخلاقي ، كما لا يمكن أن توجد أخلاق علميّة " (1).

هذا ماقاله هنري بوانكاريه لكنّ العالم يشهد العكس من ذلك.

يسعى أنصار أخلاقيّات الطب والبيولوجيا لوضع قوانين تنظم العمل الطبي في إطار أخلاقي على سبيل المثال الدستور الّذي وضعه العالم الأمريكي **روبرت مورتون** سنة 1942 ويتضمّن أربعة مبادئ :

1) العالميّة : وجوب الحكم على المصنّفات العلميّة في جميع أنحاء العالم طبقًا لميزتها الخاصّة وقيمتها العلميّة الخاصّة.
2) الشّك المنظّم : عدم إمكانيّة تقويم أي مصنّف علمي إلّا تقويمًا مؤقّتًا فقط يرتكز على أدلّة لا يمكن دحضها ، ولكن هذه المصنّفات يجب أن تكون محل شك بعد مرور فترة من الزّمن.
3) التّجرد (عدم التّحيز) : يجب أن يكون الحافز الوحيد المجرّد للعَالِم هو تقدم المعرفة.
4) الولاء للمجتمع : يجب على العالم من فوره أن يُحيط المجتمع علمًا بنتائِج أبحاثه وأهميّتها وخطورتها(2).

وأي ضرر أو خطر يجب أن يكون صاحبه مُؤمّنًا فالتّأمين هو وسيلة من وسائِل مجابهة الخطر ، حيث بموجبه يتم نقل الخطر من الشّخص المعرّض له إلى شركة أو هيئة متخصصة تتعهّد بسداد مبالغ التّأمين أو التّعويضات المناسبة عند تحقق الخطر المُؤمّن ضدّه مُستقبلاً وذلك مقابل الالتزام بسداد الأقساط المُستحقّة في مواعيدها(3) .

وبهذا يؤدي التّأمين دورًا حيويًا في حياة الفرد والمجتمع والدّولة وذلك من خلال تحمل الأخطار المعرّضين لها ، ثمّ تجميع المدخرات وتوجيهها لخدمة الفرد والاقتصاد القومي ،حيث تلتزم الأخلاق في التّـأمين باليقظة والانتباه لكل سمة من سمات العميل ، وتلبيّة الاحتيّاجات ومقابلة اقتراحاته بعقل متفتح وتقديم المساعدة للمُؤمّن بشفافيّة ووضوح ، وتسويّة مطالباته

---

(1) سعيد محمّد الحفّار ، البيولوجيا ومصير الإنسان ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط، نوفمبر1984، ص 231.
(2) سعيد محمّد الحفّار ، المرجع السّابق ، ص ص 235 , 236.
(3) عمر عبد الجواد عبد العزيز ، أخلاقيّات صناعة التّأمين في العالم العربي ، قسم العلوم الماليّة والمصرفيّة ، جامعة الزّيتونة الاردنيّة ، 2006، ص 03.

بأسرع ما يمكن ، كما تعني الأخلاق أن نكون على مستوى المسؤوليّة ليس فقط بالنسبة لشركة التّأمين أو عملائِها ، ولكن بالنسبة للصناعة ككل ، ومن ناحيّة أُخرى فإنّ ضعف الأخلاق يُمكن أن يكون له نتائِج خطيرة منها : المقاضاة وارتفاع تكاليف تسويّة المنازعات ، ارتفاع خسائِر الأعمال ، انخفاض معدّلات الأداء والتّقديرات المُتوقّعة.

يتحدّث كتاب **رؤى مستقبليّة** " كيف سيغير العلم حياتنا في القرن 21" تأليف ميتثيوكاكو ترجمة سعد الدين خرفان ، أنّ العقل لايكتفي بالحاضر الّذي أدهش الإنسانيّة بأسرها بل يتعدّى المستقبل، فلقد قدّم كُتّاب الخيال العلمي تنبؤات ضخمة حول العقود القادمة : من تمضيّة العُطل على كوكب المريخ ، وبهذا نتطلّع إلى عالم ما بعد البشر الّذي يفترضه الكثير عالمًا يشبه عالمنا هذا به الحريّة ،والمساواة، والرّخاء ، والرعاية ، والشّفقة ، ولكن برعاية طبيّة أفضل ، وأعمار أطول ، وربّما بذكاء يفوق الذّكاء الحالي ، ولكن قد يكون هذا العالم أكثر تنافسيّة من عالمنا فيمتلئ بذلك الصراع الاجتماعي ، قد يكون عالمًا تختفي فيه فكرة الإنسانيّة المُشتركة لأنّنا مزجنا الجينات البشريّة بجينات أنواع أُخرى كثيرة ، ولم تعد لدينا فكرة واضحة عمّن يكونه الإنسان ، قد يكون عالمًا يدخل فيه الإنسان الوسط قرنه الثّاني من العمر ، وهو يجلس في دار تمريض للمسنين يتطلّع إلى موت يأمل أن يدركه ، أو ربّما كان عالمًا من الطغيان النّاعم الّذي تخيّله "عالم شجاع جديد" يتمتّع فيه الجميع بالصحّة والسّعادة ، وينسى فيه الكل معنى الأمل ، والخوف والكفاح (1).

وبهذا المعنى يكون كل ما يتطلّع إليه الإنسان محسوبًا غير أنّ ذلك القدر من التّطلعات والرؤى المستقبليّة قد لا يكون كالمتوقّع حدوثه، يكفي معالجة إشكالات الحياة الحاضرة ،فرغم تعدُدها وتعقُدها تُعطي للحياة معنى ، وإذا كانت السّيطرة على السّيطرة تبدو أساسيّة ، تجعل الإنسان مُهدّدًا بالعلم ، ويمثِّل عدوانًا على الشّخصيّة الإنسانيّة (2).

المبحث الثّالث : أخلاقيّات الأدويّة والجهاز العصبي

---

(1) فرانسيس فوكوياما ، نهاية الإنسان عواقب الثّورة البيوتكنولوجيّة ، ترجمة أحمد مستجير ، مراجعة لغويّة عمر الشنّاوي ، اصدارات سطور ، كورنيش المعادي ، ط1 ، 2002 ، ص 303.
(2) جاكلين روس ، الفكر الأخلاقي المعاصر ، ترجمة وتقديم عادل العوا ، عويدات للنّشر والطباعة بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001 ، ص 115.

" المرض وإضمار الشّك حرامٌ عندهم : على المرء أن يمضي بحذر أحمق من لا يزال يتعثّر في الأحجار والبشر ! قدرٌ قليل من السُّم بين الحين والآخر : هذا يؤدي إلى أحلام ممتعة ثمّ الكثير من السم في النهاية لموت ممتع " فريدريك نيتشه (هكذا تكلّم زرادشت)(1).

هذا هو فحوى استخدام العقار(*) كما نجده عند نيتشه أحيانًا لأجل متعة لمواصلة الحياة وأحيانًا أُخرى سُمٌ لموت ممتع فبهذا الاعتبار العقار أو الدّواء سلاح ذو حدّين إمّا الشفاء والحياة وإمّا المرض والموت.

تطوّر استعمال الأدويّة بشكل كبير وتعدّدت استعمالاته ، وهكذا أصبح الطب يُوفر إلى جانب أدويّة تصلح لعلاج مرض معيّن ، أدويّ أُخرى مُؤثرة على الجانب النّفسي من الإنسان الأدويّة المهدِئة للأعصاب والأدويّة المخدرة ، والأدويّة المُؤثرة في السلوك ، وإذا كان مفعول هذه الأدويّة يُخفف من معاناة الكثيرين ، فهناك إمكانيّة المبالغة في استعمالها كما يحصل في حالات الإدمان أو إرغام البعض على تناولها كما هو الشّأن بالنسبة لحالات غسيل الدماغ.

ومنذ القدم استعمل الإنسان النّباتات المهيّجة والمهدِئة ، والّتي تؤدي إلى الهذيان مثل : القنب الهندي الّذي يُستخلص منه الحشيش ، أو أوراق الكوكا الّتي تُستخلص منها الكوكايين والأفيون والمورفين بالإضافة إلى الكحول والأثير الّتي تملك قدرات ذات تأثير عجيب وخطير على شخصيّة الإنسان(2).

كما أُشير سابقًا في المبحث الثّاني أنّ العلم تطوّر ليكافح الأمراض ، وهذا التّطور لم يشمل جانب الجراحة فقط بل شمل الأدويّة والعقاقير ، المشكل الّذي يُعاني منه المجتمع حاليًا من خلال الإشكالات الّتي تطرحها :

ماهي التّصرفات الّتي يمكن اعتبارها مرضيّة ؟ من يملك المؤهلات الكافيّة لمعالجة مثل هذه الأمراض المتميزة أي الّتي تستدعي أخذ عقار أو دواء؟ ماهي الوسائِل الّتي يحق لنا أن نستعين بها في ذلك العلاج؟

قبل علاج هذه الإشكالات وجب التّطرق إلى **مفهوم الدّواء:** يعرف الدّواء بأنّه مادّة تستعمل في تشخيص أو معالجة الأمراض الّتي تصيب الإنسان أو الحيوان ، أو الّتي تفيد في تخفيف وطأتها أو الوقاية منها.

والدّواء متعدد ومتنوع في مفعوله وتأثيره على الجسم ، مثلاً قد يكون الدّواء مُنشِطًا لعضلة الرّحم أو مثبطًا لها , وقد يُساعد المرأة على الحمل ، أو يحول دون ذلك ، وبعض الأدويّة تُقوي عضلة القلب وأُخرى تُهدِّئها ، وأدويّة توسع بؤبؤ العين ، وأُخرى تضيقه ، وأدويّة

---

(1) فرانسيس فوكوياما ، المرجع السّابق ، ص 77.
(*) العقار : كل مادّة تُغيّر وظيفة ، أو أكثر من وظائِف الكائِن الحي عند تعاطيها (مأخوذ عن عادل الدمرداش ، الإدمان مظاهره وعلاجه ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب الكويت ، 09 أُغسطس 1982، ص 19).
(2) عمر بوفتاس ، المرجع السّابق ، ص 185.

تخثر الدّم وأُخرى تزيد من سيولته ، وهناك أدويّة مُقيّئة ، وأُخرى مضادّة للقيء ، وأدويّة مدرّة للبول، وأُخرى مُعرقة...(1).

هناك العديد من الأدويّة ولكن ليست كلها للعلاج، وكما يعالج الدّواء المرض يوجد له آثار جانبيّة أو آثار غير مرغوب فيها فكثير ما يتحيّر العلماء لإيجاد دواء لمرض معيّن ، وعندما يجدونه سرعان ما يهملونه لمجرّد اكتشافهم لمخاطره ، وآثاره السّيئة على الجسم ، وهكذا تذهب الجهود وتُهدر التّكاليف الباهظة سُدى لذا يُوجب العلاج بالدّواء ثلاثة قوانين أساسيّة هي(2) :

(الشكل14)

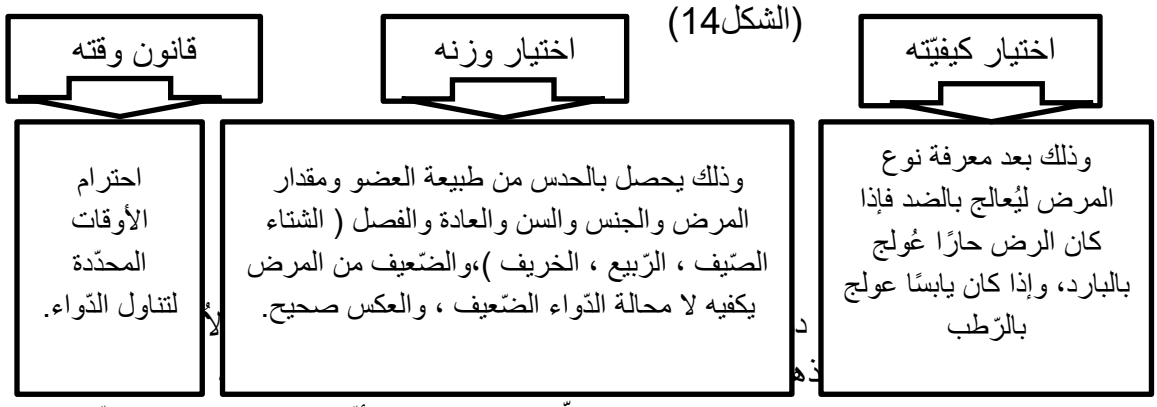

فالصّيدلي من دون وصفة طبيب يُعطي الدّواء الّذي يبدو له هو أنّه مُناسب لمرض الشّخص الّذي صرّح به من دون فحص أو كشف ، وهو ما يعاني منه المجتمع اليوم في ظل غيّاب الرّقابة الّتي تمنع هذه السلوكيّات الّتي أصبحت مُنتشرة حتّى أنّ الصّيدليّة أصبحت عبارة عن متجر لشراء المستلزمات حيث يوجد فوضى ، وعدم التّنظيم خاصّة من طرف وزارة الصحّة المعنيّة بالأمر فالصّيدليّات متجاورة مع بعضها البعض ، وبعض الأدويّة خارج سجل الإيرادات من الدّواء من أين تأتي إذ لم تأتي بها الجهات الرّسميّة والمسؤولة عن توفير الدّواء ، فباتت الصّيدليّة مقصد لمدمني المخدرات لأنّهم يجدون ضالّتهم في الصّيدليّة .

تحكّم علم الأدويّة العصبيّة الجديد في بعض الأمراض الخطيرة كالهوس الإكتئابي والفُصام وهذه أمراض ذات طبيعة نفسيّة في المقام الأوّل تحدث نتيجة اختلالات وظيفيّة عقليّة تحدث في مكان ما فوق الرّكيزة البيولوجيّة للدماغ ، ولكن قوّض هذه الأمراض دواء الليثيوم وشُفي عدد كبير من المرضى ، وتزامن ظهور الأدويّة النّفسيّة مع ما أُطلق عليه اسم ثورة النّاقلات العصبيّة منها السيروتونين والدوبامين والنورإبينفوين ، وهي تتحكّم في المشابك العصبيّة ونقل الإشارات عبر عصبونات في الدماغ وتُؤثر مستويات النّاقلات العصبيّة في مشاعرنا الذّاتيّة بالسّعادة واحترام الذّات والخوف وما شابهها(3).

---

(1) ريّاض رمضان العلمي ، الدّواء من فجر التّاريخ إلى اليوم ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يناير 1988، ص 09.

(2) آية الله العظمى الإمام السّيد محمّد الحسيني الشيرازي ، مبادئ الطب ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنّشر والتّوزيع ، طهران ، ط1 ، 1426ه/2005م ، ص 190، 191 ، 194.

(3) فرانسيس فوكوياما ، مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنيّة الحيويّة ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجيّة ، أبو ظبي دولة الإمارات العربيّة المتّحدة ، ط1 ، 2006 ، ص 59.

يظهر جليًا أنّه يمكن السّيطرة على الإنسان بقرص واحد من العقارات في ما يُعرف بكيمياء الدماغ ، كما ظهر دواء البروزاك المضاد للإكتئاب الّذي تصنعه شركة إيلي ليلي ، والأدويّة القريبة منه مثل دوائي زولوفت الّذي تنتجه شركة فايزر وباكسيل الّذي تصنعه شركة سميث كلاين بيتشام ، وينتمي البروزاك (فلوكسيتين) إلى مجموعة الأدويّة الّتي يُطلق عليها اسم مثبطات استرداد السيروتونين الانتقائية(1) .

غير أنّ هذا الدّواء كغيره من الأدويّة له آثار جانبيّة غير مرغوب فيها.

أُثْبِتَ أنّ البروزاك مسؤول عن زيّادة الوزن وفقدان الذّاكرة واختلال الوظيفة الجنسيّة والانتحار والعنف والتّلف الدماغي ، ويعد هذا الدّواء من الأدويّة الّتي ترفع الشعور بقيمة الذّات واحترامها ومَنْ مِنَ البشر لا يريد ذلك فهذا الأمر هو سيكولوجية البشر ،إذ تكفي حبّة بروزاك ليشعر الشّخص بأنّه نابوليون أو قيصر(2) .

وإذا كان دواء السّعادة كما يقال **:" البروزاك "** يعد متحكمًا في الشّخص فإنّ **الريتالين** (*) أداة صريحة للتّحكم الاجتماعي ذاع صيته باسم " سبيد " ، ويستعمل لعلاج نقص الإنتباه مع فرط النّشاط (ADHD) ، وهو مرض يُربط دائِمًا بالأولاد الصغار الّذين يجدون صعوبة في أن يجلسوا ساكنين في حجرات الدراسة ، وهذا الدّواء ينتمي إلى المواد الخاضعة للرّقابة عمله :زيّادة مدى الانتباه ، والشعور بالخفّة ، والنّشاط ، والسّماح بتركيز أكبر، كما له آثار سلبيّة متضمّنةً الأرق وفقدان الوزن(3).

أصبحت الأدويّة تحكم مجتمعاتنا بشكل رهيب في حين تعجز التّربيّة عن ذلك خاصّة إذا قلنا عن طفل أنّه مفرط النّشاط ، كيف يمكن أن يكون طفل برأينا إذ لم يكن مفرط النّشاط والحركة ؟ ، لابدّ أن تحكم المجتمع تربيّة معيّنة وفق قواعد معيّنة ، حتّى وإن قلنا طفلاً مفرط النّشاط وحركي ،قد يكون مرضًا صحيح ، ولكن لا يستدعي العلاج بالعقاقير ، فيكفي فتح دُوْرْ رعاية خاصّة تُشرف عليه هيئات معيّنة بتكليف مُؤطرين أسويّاء مُكَوّنِيْنْ تكوينًا خاصًا بعلاج هذه الفئة من المجتمع ، وإلّا أصبح جُلّ المجتمع إن لم نقل كلّه محكومًا بعقاقير ، وبالتّالي لا يعد لكلمة مجتمع وجود ، وإنّما آلات تسير بالأدويّة ، والعقاقير .

وهذا ما يفعله عقار **الإكستاسي** الّذي يُثير إفراز **السيروتونين** في الدماغ ، ويُعَدِّل الحالة المزاجيّة ، ويُحوّر الشّخصيّة ، ولكن العقار يُحدث مشكلات نفسيّة مثل : الارتباك والاكتئاب ومشكلات متعلقة بالنّوم ، والتّوق للدّواء ، والقلق الشّديد ، وأعراض جسديّة مثل التّوتر العضلي والإطباق اللّاإرادي للأسنان ، والغثيان ، وتغيم الرؤية ، وحركة العين السّريعة ، والإغماء.....

---

(1) فرانسيس فوكوياما ، المرجع نفسه ، ص 60 ، 61 ، 62.
(2) فرانسيس فوكوياما ، المرجع السّابق ، ص 60.
(*) الريتالين :الإسم التجاري للميثيل فينيدات ، وهو عقار منبه وثيق القرابة بالميثامفيتامين (مخدر الشّوارع ، مأخوذ عن فرانسيس فوكوياما ، المرجع نفسه ، ص 65) .
(3) فرانسيس فوكوياما ، المرجع نفسه ، ص ص 66 ، 67.

يعتبر البعض أنّ هذه الأدويّة للعلاج ، وليس للإدمان هذا صحيح فمن يكره أن يكون سعيدًا ومرتاحًا ، ولكن كل شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، وهنا نجد أنّ الهندسة الوراثيّة الّتي تسعى للتّحكم ، وتحسين الجنس البشري لا داعي لها مادام الدّواء يُحقق السّعادة وبالحديث عن الأدويّة كما تمّ التّعرُض لها سالفًا لسنا بعيدين بالحديث عن المخدرات ، والخمر الّذي كان يُستعمل قديمًا للعلاج ، ويُعرف الخمر بأنّه عصير العنب إذا اختمر ، أو كل مسكر مُخامر للعقل وتنقسم المشروبات الكحوليّة إلى نوعين : (الشكل15)

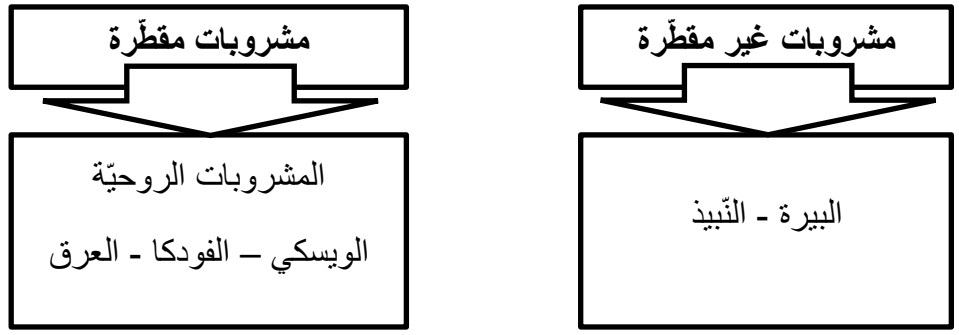

(1).

نوع الخمر	المادّة الّتي تُستحضر منها	نسبة الكحول
البيرة	بذور الشّعير منبت في الماء	04 – 08%
النّبيذ	العنب	10 – 18%
الويسكي	الشّعير	45 – 55%
العرق	العنب أو التّمر	45 – 55%

تحمل المخدرات تعريفين :

1) **التّعريف العلمي :** مادّة كيميائِيّة تُسبب النعاس والنّوم أو غيّاب الوعي المصحوب بتسكين الألم ، وكلمة مخدر ترجمة لكلمة **Narcotic** المشتقّة من الإغريقيّة **Narkosis** الّتي تعني يُخَدِّر ، أو يجعل مخدرًا .

2) **التّعريف القانوني :** مجموعة من المواد تُسبب الإدمان ، وتُسمِّم الجهاز العصبي ، ويُحظر تداولها ، أو زراعتها أو صنعها إلّا لأغراض يحددها القانون ، ولا تستعمل إلّا بواسطة من يُرخّص له بذلك(2).

ومن بين **المخدرات :**

الأفيون : يُشتق من ثمرة نبات الخشخاش Papaver Somniferum ، ويحتوي المورفين وهذا الأخير يستخدم طبيًا على شكل حقن كمسكن للألم ، وعلاج الأرق ، والهياج العصبي.

---

(1) عادل الدّمرداش ، الإدمان مظاهره وعلاجه ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، اغسطس ، 1982، ص 10.
(2) عادل الدّمرداش ، المرجع السّابق ، ص 11.

المنومات والمهدئات : تُسبب الهدوء والسّكينة .

المُنشطات : وهي عقاقير تُسبب النّشاط وكثرة الحركة .

الكوكايين : هي المادّة الفعّالة الّتي تحتوي عليها أوراق نبات الكوكا ، وهي تُزيل التّعب ، والجوع

ويُشعر بالخفّة والنّشاط **Erythroxylon Coco** .

القنب : تحتوي على الحشيش والماريهوانا ، والحشيش يُشعر بالدّوخة ، وعدم إدراك الزّمن.

عقاقير الهلوسة : تُسبب الهلوسات ، والخدع البصريّة ، والسّمعيّة ، واختلال الحواس

والانفعالات وأشهرها **L.S.D** وهو اختصار لحامض **الليسيرجيك** Lysergic Acid ، وبذور

نبات مجد الصّباح **Morning Glory** ، الميسكالين **Mescaline** ، الزايلوسايبين **Psilocybin** ، السيرنيل Sernyl (1).

يتّضح جليًا أنّ العمليّات الكيماويّة هي أساس الفكر والسلوك ، ولا شكّ أنّ التّطور في

العقاقير خلال العقود القليلة القادمة سيمد البشريّة بقوائِم أكثر طولاً ممّا هو موجود الآن

وسوف يزداد التحكم في البشريّة بصفة أكثر دقّة ، وأكثر خطورة .

القات : النّشاط المصحوب بـــالخمول مع حالة تشبه حالة الحالم .

التّبغ : يُصنع من مادّة التّبغ **Nicotiana Tobacum** ، ويحتوي على أوّل أُكسيد الكربون الّذي يُقلل من قدرة كريّات الدّم الحمراء على نقل الأُكسجين للأنسجة.

المستنشقات والمواد المتطايرة : وتشمل : البنزين – الصّمغ – طلاء الأظافر – مُخففات الطلاء تحتوي على فُحوم مائِيّة Hydrocarbons تُؤثر على المخ والكبد والرئتين(2) .

هذه مواد مُخدرة وتُؤذي جسم الإنسان لذا وجب تشديد الرّقابة حرصًا على سلامة الفرد وبالتّالي سلامة المجتمع ، ويوجد مواد أُخرى متفرقة تُعد من المخدرات هي:

أ- **مُركّبات الزانثين :** توجد في الشّاي والقهوة والكاكاو والمشروبات الغازيّة الّتي تحتوي على الكولا ، وهو منبه يُسبب الأرق والتّوتر عند تناول جرعات كبيرة .

ب- **مُسكنات الألم غير المُخدرة : الأسبيرين – الباراسيتامول – الفيناستين** ، وهو مسكن شائِع يحتوي حامض **الساليسيليك** ، أمّا **الفيناسيتين** يُؤدي إلى تلف الكلى والصداع و**الباراسيتامول** يشبه **الفيناسيتين** ، ولكن لا يسبب أضرار جسيمة (1).

---

(1) عادل الدّمرداش ، المرجع نفسه ، ص ص 12 ,13.
(2) عادل الدّمرداش ، المرجع السّابق ، ص ص 13 ، 14.

شاع الاستهتار في مهنة الطب ، فأحيانًا يصف الطّبيب دواءًا غير موجود إلّا عند صيدلي معيّن لماذا ؟ السُؤال يبقى مطروح ، وأحيانًا كثيرة الصّيدلي يُوفر دواءًا غير موجود في سِجل إيرادات الدّولة من الدّواء كما يبيع المريض دواءًا بدون وصفة ، وبالتّالي بدون تشخيص فقد غُيّرت مهنة الطب وأصبحت تجارة ، أين أخلاقيّات المهنة الّتي تكمن في معرفة أسرار الدّواء بدقّة ومهارة , وعمق وتقرير الجُرع الطبيّة ، وطريقة الاستعمال ، والمحاذير والإحتيّاطات(2) .

توزّع العقاقير على الجسم من خلال المخ ، فلو أمكن إيصال العقار إلى مواقع معيّنة في المخ سوف تزداد قدرتنا على التّحكم عمّا هو عليه الحال الآن ، إلّا أنّ الأمر يبدو صعبًا تمامًا دون اللجوء إلى عمليّة جراحيّة كُبرى أكثر صعوبة عادةً من عمليّة زرع الأقطاب في الدماغ، وقد يمكن الوصول إلى تبسيط تلك العمليّة عمّا قريب ، وهذه سيطرة تُغيّر تفكير الأفراد.

المبحث الرّابع : الموقف الإيتيقي من موت الدماغ

نظرًا لصعوبة تحديد متى يموت الأفراد بالضّبط عمدت المجتمعات البشريّة منذ القديم إلى وضع معايير لإثبات ذلك ، وقد أخذت هذه المعايير الطّابع الطبي تدريجيًا لأجل التّيقن من حدوث الموت فعليًا في مدّة وجيزة ، وكانت معايير الموت المعمول بها قبل ظهور مصطلح موت الدماغ ، هي أساسًا التّوقف النهائِي لعمليّتي النّبض ، والتّنفس خلال الستينات من القرن الماضي تبيّن بفضل تبلور تقنيّات الإنعاش أنّ تلك المعايير لم تعد كافيّة ، بعد أن أصبح بالإمكان الإبقاء على الجسم حيًا ، حتّى ولو توقّف الدماغ عن كل نشاطاته كعلامة على التّلف النهائِي لكل وظائِفه ، وهكذا ظهرت عدّة تقنيّات بهدف التّأكد من الطّابع اللّارجعي لعمليّة موت الدماغ ، وهي ما يعرف بالمعايير الجديدة للموت ، فما مفهوم **الموت** ؟

يُفضل **سقراط** الموت بقوله :" الموت قد يكون خيرًا من الحياة " ، أمّا تلميذه **أفلاطون** يقول : " **الموت** هو انعتاق النّفس من الجسم " ، أمّا **أرسطو** فيُنادي بخلود العقل على غرار الأبيقوريّة الّتي يُشير مُؤسسها **أبيقور** بقوله :" الموت لا يعنينا في شيء " ، ولكن هناك ردود على الموت خاصّة في الفلسفة الحديثة بدءًا برائِدها **ديكارت** الّذي يقول :" أنفسنا تبقى بعد أجسامنا " حيث يشير **باسكال** إلى ذلك بقوله :" أفضل ما في هذه الحياة هو الأمل في حياة أُخرى " ، ويقول **سبينوزا** :" العقل البشري لا يمكن تدميره بصورة مطلقة " ، ويُؤكد هذا الكلام **ليبنتز** بقوله :" ما من كائِن حي يفنى تمامًا هناك تحولات فحسب "(3).

نجد بعض الفلاسفة ينكر وجود الموت ،ويتحدّث عن الخلود، ونجد البعض الآخر يعطي معنى آخر لمغادرة العالم المادي .

أوجد كانط حجّة أخلاقيّة لإثبات الخلود ، وكذلك هيجل الّذي أشار إلى أنّ الموت تصالح الروح

---

(1) عادل الدّمرداش ، المرجع نفسه ، ص 16.
(2) ريّاض رمضان العلمي ، المرجع السّابق ، ص 14.
(3) جاك شورون ،الموت في الفكر الغربي ، ترجمة كامل يوسف حسن ، مراجعة إمام عبد الفتّاح إمام سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أبريل 1984، ص ص 09 10.

مع ذاتها .

لم يغفل **شوبنهاور** معنى الموت بقوله :" الموت هو الهدف الحق للحياة"، بحيث" ينبغي أن تعاش الحياة بكامل امتلائِها رغم الموت" عند **فيورباخ** ، والفلسفة المعاصرة تَرُدُّ بفلاسفتها على هذا الأمر فيقول **شيلر** " البقاء بعد الموت معقول ومحتمل " (1).

بعد هذا العرض المُختصر لأقوال الفلاسفة ورؤاهم حول الموت ومواقفهم منه نجد أنّ البعض منهم يعتبره مسألة موجودة لكنّها تعدم الحياة ، وهذا هو جوهر البحث المنشود إذ لم يتم التّوصل إلى مفهوم موت الدماغ إلّا بعد تدرج ، ومراحل متعددة ذلك لصعوبة تحديد لحظة الموت الّتي أُعتبرت من المسائِل الّتي شغلت الإنسانيّة منذ القديم فكل خطأ يقع في هذا الإطار يمكن أن يؤدي إلى نتائِج كارثيّة مثل دفن أشخاص قد يستيقظون من موت ظاهري ليجدوا أنّهم قد دفنوا أحياء ، ولم يبقى أمامهم إلّا أن يموتوا رغمًا عنهم ممّا دفع إلى وضع معايير تُمكن من الجزم بالوفاة ، قبل ذلك كانت بعض الدوّل كفرنسا تمنع أي تشريع ، أو تحريك للجثّة لمدّة 24ساعة بعد التّوقيع على التّصريح بالوفاة (2).

إذن مسألة الوفاة وتحديد لحظتها مسألة شغلت بال العديد من الأطبّاء ، وحالت دون الكثير من الأبحاث كتلك الأبحاث الّتي تستدعي أخذ أعضاء من الأشخاص الحديثي الوفاة، وقد تعرّض العديد من الأطبّاء لمسائِل مرتبطة بموت الدماغ ، وذلك بعد تشخيصهم لتوقف الوظائِف الحيويّة للدماغ وتبيان موت جميع خلاياه إلى غير رجعة .

أُسميّت هذه الحالة الغريبة باسم **الغيبوبة** الكاملة والمستمرّة **Coma dépassé**(3).

هذه المسألة تطرح مشاكل اخلاقيّة خاصّة ، كما أنّ السلطات العموميّة لا تراجع الحدود الّتي أُعتبرت فاصلة بين الحياة والموت ، ذلك بإمكانيّة استفاقة الأشخاص بعد قضاء عدّة شهور في حالة الغيبوبة ممّا يعني أنّ مسألة الموت الفلسفيّة تُطرحُ بحدّة في الجانب البيولوجي : هل هي تلف ، أو تعطل ، أو توقف للوظائِف بما في ذلك توقف الدّورة الدّمويّة والتّنفس؟ ، وقد يكون الجسم مستمرًا في الحياة غير أنّ الإنسان قد توقّف عن الوجود كشخص.

يفقد الإنسان هويّته عندما يتوقّف عن الوجود كشخص لكنّ السُؤال الّذي يبقى مطروح خاصّة في ظل الديمقراطيّة : هل يمكن اعتبار الأشخاص الّذين يعيشون حالة غيبوبة محضة في عداد الأموات ، بينما هناك قناعات تُعارض هذه الفكرة ؟ ارتبط قديمًا مفهوم موت الدماغ بتوقف القلب والدّورة الدّمويّة والتّنفس ، ووضعت المدرسة الأمريكيّة المتمثلة في اللّجنة الخاصّة من جامعة هارفارد Ad hoc committee عام 1968 علامات تدل على **موت الدماغ** :

1. الإغماء الكامل ، وعدم الاستجابة لأي مؤثرات .
2. عدم الحركة (تُلاحظ الجثّة لمدّة ساعة على الأقل).

---

(1) جاك شورون ، المرجع السّابق ، ص 11 ، 12 ، 13.
(2) عمر بوفتاس ، المرجع السّابق ، ص ص 192 ، 193.
(3) عمر بوفتاس ، المرجع نفسه ، ص 193.

3. عدم التّنفس عند إيقاف المنفسة .
4. عدم وجود أي من الأفعال المنعكسة .
5. رسم مخ كهربائِي لا يوجد فيه أي نشاط **Flat E.E.G** (1).

هذه علامات تدل على موت الدماغ حسب **المدرسة الأمريكيّة** ، و أسباب موت الدماغ (جذع الدماغ أو كل الدماغ)، تتلخّص في الآتي :

1. إصابات الحوادث مثل حوادث المرور.
2. نزف داخلي في الدماغ.
3. أورام الدماغ ، والتهاب الدماغ ، والسّحايا ، وخراج الدماغ(2).

هناك حالة من الغيبوبة تُعرف **بالحالة النّباتيّة** (*) بحيث المصاب بها لا يعرف فرقًا بين الحياة والموت رغم وجود علامات تدل على موت الدماغ .

وجب التّأكد من بعض الأُمور لأنّ المدرسة الأمريكيّة أشارت إلى أنّ من علامات الموت الإغماء الكلي لذا وجب مراعاة حالات الإغماء ، فقد تكون مؤقّتة لا علاقة لها بموت الدماغ بل ناتجة عن تناول الكحول والعقاقير ، أو انخفاض شديد في درجة حرارة الجسم **Hypothermia** أو حالات الفشل الكلوي ،أو فشل الكبد ، وحالات الإغماء النّاتجة عن زيّادة السكّر في الدّم **Hyperglycaemia** ، أو نقصانه ، أو حالات الإغماء النّاتجة عن إصابات الغدد الصمّاء بزيّادة شديدة في الإفراز الهرموني **Hypoglycaemia** ، أو نقصان شديد فيه (3).

لذا ينبغي معالجة هذه الحالات أوّلاً ثُمّ الجزم بموت الدماغ بإجراء فحوصات :

(الشكل16)

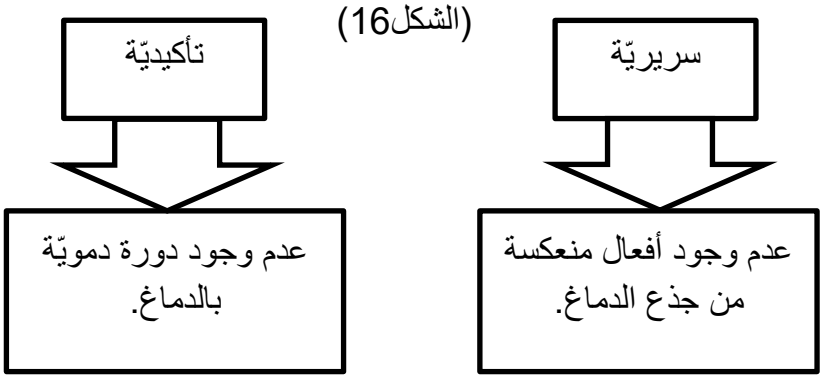

(4).

(1) زهير أحمد السباعي ومحمّد علي البار ، الطّبيب أدبه وفقهه ، دار العلم دمشق، والدّار الشّامية بيروت ، ط1 ، 1413ه/1993م ، ص 197.
(2) زهير أحمد السباعي ومحمّد علي البار ، المرجع نفسه ، ص 198.
(*) الحالة النّباتيّة Etat Vegetatif: مصطلح تمّ نحته سنة 1972 من طرف طبيين متخصصين في الأمراض العصبيّة F.plum ,B.jennett، وهو يعني الخروج من الغيبوبة بأعين مفتوحة مدّة معيّنة في اليوم ، ويستعيدون علامات النّبض والتّنفس ، ممّا يخلصهم من البقاء تحت العناية المركّزة ، ومع ذلك لايبدو أيّة علامة على قدرتهم على التّعبير أو الوعي بمحيطهم ، مأخوذ عن عمر بوفتاس، المرجع السّابق ص 197.
(3) زهير أحمد السباعي ومحمّد علي البار ، المرجع السّابق ، ص 200.
(4) زهير أحمد السباعي ومحمّد علي البار ، المرجع نفسه ، ص 201.

الحياة نعمة من الله ، وهي وظيفة الروح ، فالروح تبدأ الحياة ، وتصونها لأنّها تمد الجسم حرارة الحياة الّتي تميز الجسم الحي عن الجثّة الميتة ، كما تحمي الجسم من التحلل والفساد وما دامت الروح موجودة في الجسم فإنّ الشّخص يكون حيًا حتّى لو كان يُعاني عمليّة الموت الّتي قد تدوم ساعات ، أو أيّام أو حتّى أسابيع ، إذ لا بدّ من اعتبار الشّخص حيًا حتّى لو كان موته لا مفرّ منه ، وإزالة أعضاء من هذا الإنسان الحي هي عمليّة قتل بكل تأكيد لأنّنا بذلك نُسرع خروج الروح من الجسم قبل موعدها المُقدّر (1).

هذا القول يُعطي أهميّة كبرى للحياة حيث أي مؤشر بسيط يدل على الحياة ينفي الموت بشكل مطلق ، حيث ثمّة قضيّة أخلاقيّة أثارتها حقيقة أنّ نشاط أوعيّة القلب الدّمويّة في قلب يدق يوجد

بصفة دائِمة في أُولئك المرضى المشار إليهم على أنّهم " موتى دماغ " ، ونزع الأعضاء من أُولئك المتبرعين الّذين تدق قلوبهم ، يتطلّب تشريعًا يعطي الجنس البشري الحقوق ذاتها المعطاة للحيوانات إذ أنّ **مرسوم الحيوان (Animals Act)** ، الصّادر عام 1986 يقرر أنّ الحيوان يعتبر حيًا حتّى يحدث توقف دائِم لدورة الدّم ، أو تدمير لدماغه (2).

وهذه الحجّة قدّمها ديفيد ج . هيل David J.Hill أُستاذ التّخدير جامعة كمبيردج الّذي قال " ألم يحن الوقت كي نمنح المرضى على الأقل الحماية ذاتها الّتي نُصر على منحها للحيوان وأن نستخدم المعايير ذاتها القاضيّة بضرورة التّوقف الدّائِم للدّورة الدّمويّة ، أو تدمير الدماغ لكي نُقرر أنّ الموت قد حدث فعلاً قبل أن نشرع في عمليّة إزالة الأعضاء الحيويّة (3).

يشير هذا القول إلى أنّ البعض يقضي على حياة ، والدّليل على ذلك مؤشرات كثيرة مثل منعكس الكُحّة والقيء ، فرغم وجودها يُعتبر الفرد ميتًا دماغيًا ، وهذا ما يفتح مسألة أُخرى ألا وهي مسألة إنهاء حياة شخص ميؤوس من علاجه ، حيث يعتبر الشّرع أنّ العلاج إذا قرّر أهل العلم أنّه ميؤوس منه يكون الكف عنه فريضة (4).

معنى ذلك أنّه إذا تقرّر طبيًا أنّ العلاج ميؤوس منه فالكف عنه يكون ضروريًا ، وبالتّالي بوسع الأطبّاء نزع الأجهزة وهو ما يُعتبر صائِبًا في حين المحظور هو أن تعطيه شيئًا ليموت وهذا القول تتضارب فيه الآراء ، والمصالح ، والقيّم ، والعادات ، والتّقاليد ، بل والمجتمعات.

يطرح موت الدماغ مشاكل أخلاقيّة تتعلّق أوّلاً بقبوله كمعيار جديد للموت ، والغموض الّذي يكتنف بعض المصطلحات الّتي تُستعمل للدّلالة عليه وتعدد تأويلاته ، ومشكل تحديد متى يحصل ، هل بتوقف كل وظائِفه ، أم بتوقف وظائِف الدماغ العلوي وحدها رغم استمرار وظائِف جذع الدماغ ؟ ، وأخيرًا ما يثيره موت الدماغ من اختلاف حول الوجود الإنساني والطّبيعة الإنسانيّة هل هو اعتبار الإنسان جسمًا ؟ أم جسمًا ونفسًا ؟ وفي حال ترجيح الثّانيّة أيهما يُعدُّ أساسيًا : الجسم أم النّفس ؟

---

(1) محمّد آصف المحسني ، الفقه ومسائِل طبيّة ، مركز تحقيقات كامبيوتري علوم ،ج2، المطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، طهران ، ط1، 1426ه ، ص168.
(2) محمّد آصف المحسني ، المرجع السّابق ، ص 174.
(3) محمّد آصف المحسني ، المرجع نفسه ، ص 175.
(4) محمّد آصف المحسني ، المرجع نفسه ، ص 177.

تطرح أمراض الجهاز العصبي مشكلة في علاقة الطّبيب ، والمريض خاصّة فيما يتعلّق بمسألة " **الموافقة الواعيّة** " للمريض ، أو لمن ينوب عنه في حالة عجزه عن ذلك ، إضافة إلى مدى مشروعيّة نزع الوسائِل الاصطناعية الدّاعمة للحياة ، وخاصّة "وسائِل التّعذيب الاصطناعيّة" لدى المرضى الموجودين في **"الحالة النّباتيّة المزمنة"** ، وهنا تقع مشكلة الخيار بين حياة جيدة تستحق أن تُعاش ، وحياة منحطّة يُستحسن التّخلص منها وهو ما يُحيلنا إلى المفهوم البيوتيقي **"نوعيّة الحياة"**(1).

الموت مصير كل الكائِنات العضويّة ، ومعنى ذلك زوال كل وظائِف القوى الذهنيّة والفكريّة والعقليّة والحسيّة ، حيث أنّنا نختبر الموت يوميًا عندما نخلد إلى النّوم ليستريح الجسم في ارتخاء كامل ، إذ جاء في الآية **(39) من سورة الزمر** :" وَالّتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا " كما تحفل الكثير من آيات القرآن الكريم بسور الوعيد بالموت والفناء والخلود ..." خَلَقْنَاكُمْ وَفِيْهَا نُعِيْدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى " **المؤمنون 111**، و" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانْ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو اَلْجَلَالِ وَاَلإِكْرَامْ " **الرحمان 24-25** ، والموت في الإسلام عندما تُغادر الروح الجسد الّتي أودعها الله فيه " وَجَاءَتْ سَكْرَةُ اَلْمَوْتِ بِالْحَقْ ، ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيْدْ " **ق 19**، وأنّ الموت حق يُدرك أينما وُجد الإنسان " أَيْنَمَا تَكُوْنُوا يُدْرِكْكُمْ اَلمَوْت وَلَو كُنْتُم فِي بُرُوْجٍ مُشَيّدَة " **النساء 77**،كما أنّ المؤمن حقًا يتمنّاها عند وقوعه في وضع حرج لعدم استطاعته مجابهة نظرائِه من البشر كقوله تعالى :" يَا لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيا " **مريم 22** ، فالموت حال السكون والكمون المُؤقّت والأبدي، والخوف من العار ، وزوال القوّة في العقل ...(2) .

المبحث الخامس : الممارسة الأخلاقيّة مع المرضى النّفسانيين والعقلانيين

وجب استهلال هذا المبحث بكلام نفيس يشير إلى هذا المبحث وهو قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم :" إنّ مِن أَحبّكُم إليّ وَأَقْرَبِكُم مِنّي مَجْلِسًا يَوْمَ اَلقيّامَة أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا " **(رواه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما)** (3).

أحيانًا المريض لا يشفى بجراحة ، أو عقار ، ولكن يشفى بكلمة طيبة ، ومعاملة حسنة حتّى لو كانت ببسمة لحديث تبسمك في وجه أخيك صدقة ، وما أحوج العالم الإنساني الحالي إلى هذه المعاملات الّتي غُيّبت في عصر العولمة ، والتقنيّة ، والمعلوماتيّة ، والماديّة والبراغماتيّة ،

---

(1) عمر بوفتاس ، المرجع السّابق ، ص ص 197 , 198.
(2) مجموعة باحثين ، الأخلاقيّات التّطبيقيّة والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي ، إشراف وتنسيق مصطفى كيحل ، أعمال ملتقى ، منشورات الجمعيّة الجزائِريّة للدراسات الفلسفيّة ، 2016، ص ص 111، 112.
(3) أحمد الريسوني ، الأخلاق في الطب ، تأسيس مقاصدي ، ورقة مقدّمة لندوة (الأخلاق الإسلاميّة والطب) المنظّمة من قبل دراسات التّشريع الإسلامي والأخلاق ، بالدّوحة ، في 05-07 يناير 2013 ص06.

حيث طغت المنفعة ، وكثُرت الأمراض النّفسيّة والعقليّة وما ينتج عنها من مشاكل اجتماعيّة على سبيل المثال : إنجاب الفتيات اللواتي جُنن لأطفال غير شرعيين ، إضافة نقص الرعاية والاهتمام من قبل الوالدين لأطفالهم فقد صنّف البريطانيون المشاكسين من صغار السن على أنّهم أشقيّاء ، أو مضطربون ، أو هم تعليميًا أقل من الأسويّاء ، فيضعونهم في مدارس خاصّة والسّبب هنا هو قصور في تنشئتهم الإجتماعيّة كالافتقار مثلاً إلى سيطرة الوالدين ، أمّا في و.م.أ فقد أصبح هذا السلوك مرضًا منذ الستينات والأطفال المصابون يبدون نشاطًا مفرطًا في حجرة الدراسة ، وكثيرًا ما يقاطعون المُدرّس ، وهم لا يتحمّلون الفشل على نحو حسن ، ولا يركزون جيدًا رغم أنّهم يبدون درجة كافيّة من الذّكاء إلّا أنّهم لا يتمكّنون من مواد دراستهم (1).

كثير من الأمراض تبدو لنا نفسيّة ، وتكون غير ذلك ، وأُخرى تبدو عقليّة ، وهي غير ذلك .

مثلاً الأمراض الوظيفيّة **كالشيزوفرينيا** (*) ، والاكتئاب ، وعقدة الاضطهاد ، أو العظمة.

يوجد أمراض للذهن لا يمكن إرجاعها لأي عطب واضح في المخ ، والطب النّفسي البيولوجي يُقسم الأمراض إلى قسمين :

(الشكل17)

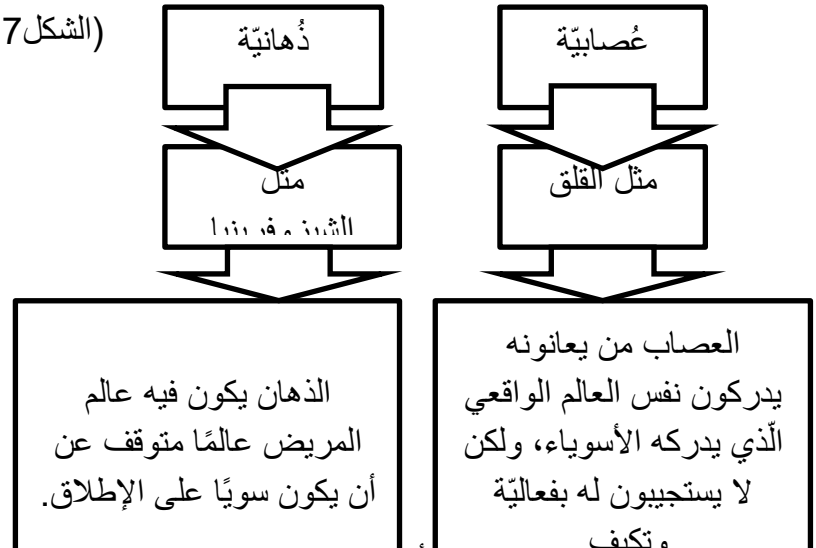

(2).

كان لـ[illegible] لأمـ[illegible] صف مرض بأنّه نفسي أو [illegible] بعض [illegible] كذلك ، وعلى وجه العموم لابدّ من وضع ممارسة أخلاقيّة للتّعامل مع المرضى النّفسانيين ، والعقلانيين يدور

---

(1) ستيفن روز وآخرين ، علم الأحياء والايديولوجيا والطّبيعة البشريّة ، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي مراجعة محمّد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت أبريل ، 1990 ، ص ص 210 ،211.

(*) الشيزوفرينيا : انفصام الذهن ، بحيث المصاب بها مقطوع الصلة بسائِر البشريّة (مأخوذ عن ستيفن روز وآخرين ، المرجع نفسه ، ص 237.)

(2) ستيفن روز وآخرين ، المرجع السّابق ، ص ص 234 ، 235.

محورها حول العناية ، وذلك لتنميّة العلاقات وتلبيّة الحاجات ، وازدهار الحساسيّات ، إذ يسمي البعض هذا النّوع من الأخلاق بأخلاق المحبّة ، أو **الأخلاق العلائِقيّة** Relational .

لطالما استعملنا كلمة اعتن بنفسك **Take care** ، حتّى وإن كان بصورة روتينيّة ، كما نقول : **"إلى اللقاء"** ، ولكن الكلمة في حد ذاتها توحي بشعور ترابطي ، بل وأكثر من ذلك حين نقول :**"اعتن بنفسك لأني أهتم بك"**، وأحيانًا نقول لشخص مسافر **:"أنا أهتم بما يحدث لك، لهذا من فضلك لا تفعل أي شيء خطأ ، أو أحمق"** (1).

يقوم التّواصل الإنساني على مصلحة المريض والطّبيب ، ومصلحة الجماعة ككل ، حيث كانت العلاقة الكلاسيكيّة بين الطّبيب والمريض تتميّز بكونها علاقة حميميّة شبه عائِليّة يطبعها التّقارب والتّعاطف ، ليتغيّر الحال من طبيب الأُسرة إلى طبيب متخصص حيث يجد المريض نفسه غريبًا أمام جيش من الأطبّاء كل في مجال اختصاصه ، وذلك للاعتبارات التّاليّة : كثرة المستشفيات ، هيمنة التقنيّة ، وتزايد التّخصص في ميدان الطب (2).

وهو ما خلق اليوم مسألة غيّاب الثقة ما ضاعف الرّقابة على عمل الطّبيب في إطار أخلاقيّات البحث العلمي ، لهذا ظهرت ممارسة أخلاقيّة جديدة تقوم على احترام السر المهني الّذي يوضحه قسم بقراط كنموذج :**"أُقسم بالله العظيم ربُ الحياة والموت ، وواهب الصحّة وخالق الشّفاء ، وكلّ علاج ، أنّ المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائِي وأُواسيه ، وإذا احتاج إلى مال واسيته ، وواصلته من مالي ، وسوف أسعى لمنفعة المرضى بكل أمانة دون تفريط وسوف لا أخجل إذا كنت لا أعرف شيئًا ، وسأستشير زملائي في المهنة من أجل شفاء المريض سأحترم خصوصيّة المريض ، ولا أُعطي إذا طُلِب مني دواءًا قاتلاً ،ولا أُشير بمثل هذه المشورة ، ولا أُساعد في إسقاط الجنين ، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزّكاة والطّهارة وأُحافظ على أسرار البيوت ، ولن أحنث بهذا القسم ما حيّيّت "**(3).

لا بدّ من الالتزام بأخلاقيّات تجعل المرضى يشعرون بالراحة ومن تلك الأخلاقيّات الالتزام بالسر المهني ، فإنّ التزام الطّبيب بالسر المهني ، والحفاظ عليه واجب أخلاقي تمليه عليه قواعد الشّرف ، وعادات ، وأعراف المهنة ، وتقتضيه المصلحة العامّة ، وهذا الالتزام معروف منذ القديم كما أشرنا ، حيث نصّ الدستور الإسلامي لمهنة الطب على الحفاظ على السر المهني وقد جاء فيه :" إنّ حفظ أسرار النّاس وستر عوراتهم واجبٌ على كل مؤمن ، وهو على الأطبّاء أوجب ...لأنّ النّاس يكشفون لهم على خباياهم ، ويودعونهم أسرارهم طواعيّة مستندين على ركاز متين من قدسيّة حفظ السر الّذي اعتنقته المهنة من أقدم العصور ...وواجب الطّبيب أن يصون أيّة معلومات وصلت إليه خلال مزاولته مهنته عن طريق السّمع ، أو البصر ، أو الفؤاد أو الاستنتاج ، وأن يُحيطها بسياج كامل من الكتمان .

وأنّ روح الإسلام توجب أن تتضمّن القوانين تأكيد حماية حق المريض في أن يصون

---

(1) فيرجينيا هيلد ، أخلاق العناية ، ترجمة ميشيل حنامتباس ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أكتوبر، 2008 ، ص 44.
(2) عمر بوفتاس ، المرجع السّابق ، ص 209.
(3) محمّد عيد شبير ، الأخلاقيّات الطبيّة (الأخلاقيّات المتعلقة بمهنةالتحاليل الطبيّة) ، ص 02.

الطّبيب سرّه الّذي ائتمنه عليه ، إذ أنّه ما لم يأمن المريض على ذلك فلن يُفضي للطّبيب بحقائِق أسراره الّتي قد تُحدِّد سير العلاج "(1).

إلى جانب الحفاظ على السر المهني وجب رفع معنويّات المريض ببعث الثقة في نفسه بالشفاء ، وهو أكبر الأثر في تقويّته وسيطرته على المرض ، والتّخلص من آثاره (2).

بات من الضّروري الاهتمام أكثر بموضوع الأخلاقيّات لما تحتله من فضاء واسع يستقطب أكثر فأكثر المهتمين من جميع التّخصصات بمن في ذلك رجال القانون ، ورجال الدين ، كما تكمن أيضًا أهميّة التّكوين الأخلاقي للطّالب الجامعي في كليّة الطب ، فتدريس "أخلاقيّات الطب" مع ضبط المسؤوليّة القانونيّة ، والدينيّة الّتي على عاتق طالب الطب الّذي سيصير في المستقبل القريب طبيبًا يتعهّد المريض في سائِر الأوقات ، كما يظهر لنا التّحفظ في بعض المصطلحات الغربيّة الّتي كان لها فضاءها الّذي تغذّت منه ، كمصطلح **" الموت الرّحيم "**، الّذي

لا يختلف عن الانتحار أو القتل .

الفصل الثّالث

المشروع التّطبيقي لإمانويل كانط

(1) رايس محمّد ، مسؤوليّة الأطبّاء المدنيّة عن إفشاء السر المهني ، الملتقى الوطني حول المسؤوليّة الطبيّة ، جامعة مولود معمري ، كليّة الحقوق ، تيزي وزو ، يومي 23-24 جانفي 2008 ، ص 01.
(2) جعفر مرتضى العاملي ، الآداب الطبيّة في الإسلام مع لمحة وجيزة عن تاريخ الطب ، دار البلاغة للطباعة والنّشر والتّوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1416ه/1991م ، ص 131.

3-1- كانط إيمانويل (السيرة والمنهج والتّوجهات) .

3-2-كانط والفلسفة التّطبيقيّة(نصوص وقراءات وتحليلات).

3-3- العقل الكانطي (نظريّات وتطبيقات) .

3-4- موقف الفلاسفة المعاصرين من تطبيقات كانط .

3-5- ما بعد كانط (استثمار المشروع الكانطي تطبيقيًا).

الفصل الثّالث : المشروع التّطبيقي الكانطي

عصر التّنوير مصطلح يشير إلى القرن السّادس عشر في الفلسفة الاوروبيّة ، وغالبًا ما يعتبر جزءًا من عصر أكبر يضم أيضًا عصر العقلانيّة ، والمصطلح يشير إلى نشوء حركة ثقافيّة تاريخيّة دُعيت بالتّنوير ، والّتي قامت بالدفاع عن العقلانيّة ، ومبادئِها كوسائِل لتأسيس النظام الشّرعي للأخلاق والمعرفة (بدلاً من الدين) ، ومن هنا نجد أنّ ذلك العصر هو بداية ظهور الأفكار المتعلقة بتطبيق العلمانيّة ، و روّاد هذه الحركة كانوا يعتبرون مهمّتهم قيّادة العالم إلى التّطور والتّحديث وترك التّقاليد الدينيّة والثّقافيّة القديمة والأفكار اللاعقلانيّة الّتي كانت ضمن فترة أُسميت " العصور المظلمة " ، ومن فلاسفة عصر التّنوير الفيلسوف الألماني كانط إيمانويل kant,Emmanuel الّذي صرّح قائِلاً :" اعملوا عقولكم أيُّها البشر! " ، وفي هذا دعوة صريحة لاستخدام العقل بنوع من العزم والشّجاعة .

المبحث الأوّل : كانط إيمانويل (السيرة والمنهج والتّوجهات)

كانط إيمانويل Kant, Emmanuel

Kant, Immanuel (1724/04/22 – 1804/02/12) (1).

وُلد الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط في كونيغسبرغ (بروسيا الشّرقيّة) ، ومات في نفس البلد ، من أُسرة برجوازيّة صغيرة يرجع أصلها إلى اسكتلندا كان أبوه سرّاجًا ، وكان على قدر طفيف من اليُسر ، وكانت أُمه من أتباع الحركة التّقويّة ، وعلى قدر كبير من الورع ، وقد تركت تأثيرًا عميقًا في نفسه فالتّقويّة هي ما نلتقيه دومًا في قرارة فكر كانط ، وشخصيّته بين 1733 و 1740 ، تردّد إيمانويل الصّغير على " المعهد الفريدريكي " ، وكان التّعليم الّذي تلقّاه في هذه المدرسة التّقوية امتداد للتّربية الّتي نشأ عليها في الوسط العائِلي (2).

تربّى كانط في بداية حياته تربيّة دينيّة لاهوتيّة ، وذلك كونه نشأ في أُسرة محافظة عُرف بدقّته حتّى أنّه صار بمثابة مؤشر الوقت بالنسبة إلى ربّات البيوت في بلدته إذ كُنّ يُدركن حالما يُبصرن به وهو يمُرُ تحت نوافذهنّ ، أنّه قد حانت ساعة وضع الحساء فوق النّار(3).

تنقسم سيرته الفلسفيّة على نحو ملائِم إلى ثلاث فترات : (الشكل18)

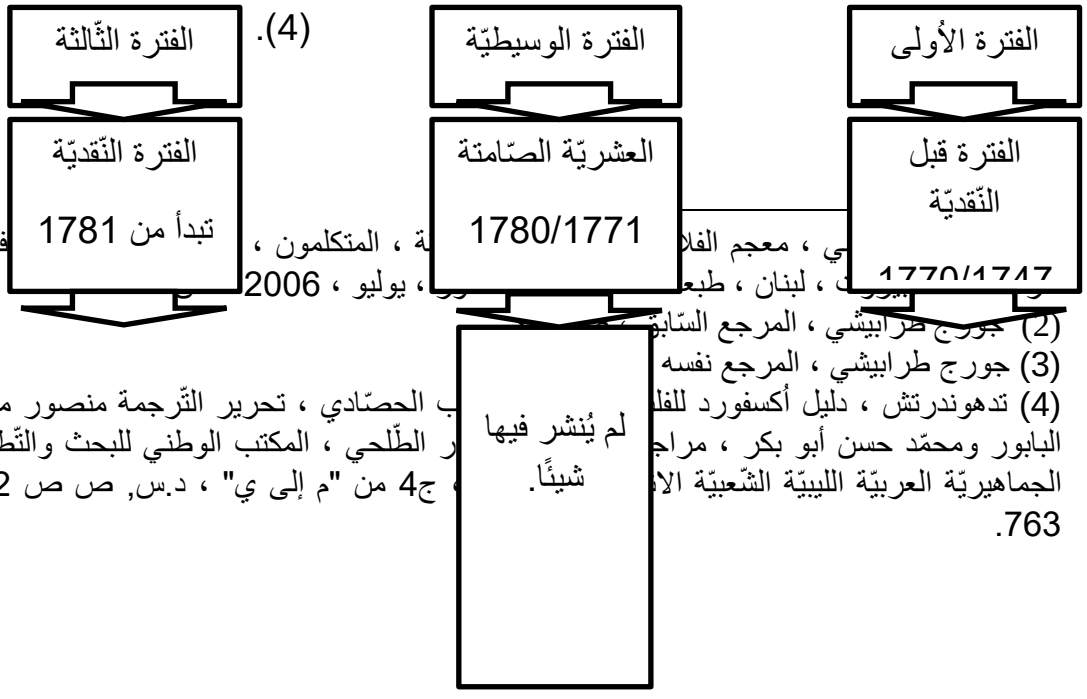

(4).

(2) جورج طرابيشي ، المرجع السّابق
(3) جورج طرابيشي ، المرجع نفسه
(4) تدهوندرتش ، دليل أكسفورد للفل ب الحصّادي ، تحرير التّرجمة منصور محمّد البابور ومحمّد حسن أبو بكر ، مراج ر الطّلحي ، المكتب الوطني للبحث والتّطوير الجماهيريّة العربيّة الليبيّة الشّعبيّة الا ج4 من "م إلى ي" ، د.س, ص ص 762 763.

صدر فيها أوّل أعماله: On the true Estimate of living forces تنتهي الفترة الأولى بنشر أُطروحته الأولى On the form and principles of the sensible and the intellectual worlds.

نشر في هذه الفترة العديد من المؤلّفات سأتطرّق لها بمزيد من التّفصيل.

فيها الطّبعة الأُولى من كتاب نق 17
cri) ، كما حرّر " مقدمات لكل م أن
تعتبر علمًا "عام 1783.

نقد العقل العملي 1788 (critique of proctical) مُسبقًا بأُسُس ميتافيزيقا الأخلاق 1785.

نقد ملكة الحكم 1790 مُسبقًا باستعمال المبادئ الغائِيّة في الفلسفة 1788.

إلى جانب هذه الكتب تآليف صغيرة مثل : جواب عن سؤال ما **الأنوار** ؟ 1784 ، فكرة تاريخ كلي من وجهة نظر كوسموبوليتية 1784 ، والأصل المحتمل للجنس البشري 1786، وبعد الثّورة الفرنسيّة 1789 نشر كتابين هما : مشروع السّلام الدّائِم 1795، وفلسفة الدين (الدين في حدود العقل المحض) 1793، ليكتب في الأخير يروي قصّة كتاب الدين في حدود العقل المحض ، وما أسفره من مشاكل خاصّة في عهد فريدريش فلهلم الثّاني ، ورواها في كتابه نزاع المواهب 1798 ، وكان قد نشر قبل ذلك بسنة واحدة ميتافيزيقا الأخلاق ، كما نُشرت له كتابات مطبوعة بعد الوفاة (1).

قيل الفلسفة الحقّة أي الفلسفة الجادّة ظلّت حيث تركها **كانط** ، وهذا القول إن دلّ على شيء إنّما يدل على أنّ الجانب النّقدي للفلسفة لم يتحرّك منذ **كانط** وهو ما دفع بالكثير من الباحثين إلى القول بأنّ الفلسفة بدأت مع **أفلاطون** وأُختتمت مع **كانط** ، رغم أنّه يبدو أنّ هذه الأقاويل فيها جانب كبير من المبالغة ، وإجحاف في حق الكثير من الفلاسفة والمفكرين ، إلّا أنّ الإشادة بفضل كانط في الفلسفة أمر ضروري ، حيث جاء في مؤلّفات **كانط** الثّلاث الشّهيرة :

1) نقد العقل المجرّد أو الخالص كما يسميه البعض : يتحدّث في هذا الكتاب ، ويستقصي محدوديّات ، وبنية العقل البشري ذاته ، هاجم فيه الميتافيزياء التّقليديّة ونظريّة المعرفة الكلاسيكيّة(2) .

---

(1) جورج طرابيشي ، المرجع السّابق ، ص ص 515, 516.
(2) كرستوفروانت / أندزجي كليموفسكي ، أُقدم لك كانط ، ترجمة إمام عبد الفتّاح إمام ، المجلس الأعلى للثّقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2002 ، ص05 .

جاء في كتابه هذا بالترجمة الفرنسيّة أنّ معرفتنا ترتكز على مصدرين فكريّين أساسيّين : الأوّل هو القدرة على استقبال انطباعات ، الثّاني هو قابليّة معرفة جسم من خلال تمثيلات (مفاهيم) بالأوّل الجسم مُعطى ، بالثّاني الجسم يتم تخيله ، وقد تحدّث عن المنطق المتجاوز فقال : هو الشّيء الأكثر أهميّة ، وحتّى الوحيدة إذا تعلّق الأمر بقدرة الحكم التّركيبي ، وفي صفحات أُخرى من الكتاب تحدّث عن التّجريب فقال : قدرة التّجريب هي ما يُعطي معرفتنا واقعيّة موضوعيّة ، و من جهة أُخرى التّجربة ترتكز على الوحدة التّركيبيّة للظّواهر ، بمعنى تركيب يتبع مفاهيم تُجسِّد الظّواهر ، تركيب بدونه لا نمتلك إطلاقًا المعرفة ، لكن فقط جمع لما يتم التقاطه من معلومات لا تمتلك روابط بينها حسب قواعد الوعي(1) .

2) نقد العقل العملي : لتحدّث هذا الكتاب عن الجانب الأخلاقي والضّمير الإنساني.
3) نقد ملكة الحكم : استقصى فيه الجمال والغائِيّة (2).

يتّضح من خلال المؤلّفات السّابقة حضور العقل في جُل مؤلّفات كانط حتّى أنّه يقول :" فرع العلم عندي يختص بالمبادئ والبواعث الخفيّة الّتي تُحفز العقل البشري في عمليّاته " (3).

ما هو ملاحظ انطلاقا من هذه المقولة أنّه لم تكن هناك تفرقة بين الفلسفة والعلم ، وهذا ما تُعبر عنه المقولة الآتيّة :" أنتجنا صورة الحياة بوصفها القوّة المشكلة للطّبيعة دفعة قويّة داخل الكائِنات الحيّة نفسها للبقاء ، وللإنجاب ولطاعة قوانين وجودها الخاص ، وكما أنّ للعلم آراء مُتعاليّة غير مستقرّة ، فإنّ ذلك يظهر أيضًا في مشكلات الميتافيزيقا نفسها "(4).

وفي إطار الميتافيزيقا الّتي تُعدُّ جانبًا مهمًا للفلسفة ورغم إشارة كانط في العديد من المواضع إلى أنّ حُبّه للميتافيزيقا كان من طرف واحد أي من طرفه هو فقط ، فلماذا يُقال عن فلسفته بأنّها مثاليّة ترنسندنتاليّة ، إذا كان منطلقه النّقد ؟

اهتمّ كانط في فلسفته بالنّقد وهو يعني نقد قدرات العقل المعرفيّة وبيان حدودها قبل تجربة المعرفة كما أنّه انشغل بالعقل والذّات العارفة أكثر من انشغاله بواقع تجربة المعرفة وما يهدف إليه هو البحث في مشروعيّة المعرفة أي ما يُعطي العقل المعرفي صدقه و موضوعيّته والمُتعالي عند كانط ليس سوى هذه الطّريقة في البحث .

هذا من جانب معرفي ، أمّا إذا تحدّثنا عن جانب أخلاقي نجده يقول : "فاعليّة القانون الأخلاقي غير مرئِيّة لعيون البشر ، ولكنّها تولِّد في الجنس البشري قوّة الانتصار على الشّر وتُحقق للعالم السّلام الأبدي"(5).

---

(1) EMM.KANT ,Critique de la Raison pure , Par J. Tissot , Librairie philosophique de ladrange , Paris , 1845/1846 ,P 198 , 220 ,224 ,216.
(2) كرستوفروانت/أندزجي كليموفسكي ، المرجع السّابق ، ص 05.
(3) كرستوفروانت/أندزجي كليموفسكي ، المرجع نفسه ، ص 17.
(4) كرستوفروانت/أندزجي كليموفسكي ، المرجع نفسه ، ص 18.
(5) فريال حسن خليفة ، الدين والسّلام عند كانط ، مصر العربيّة للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، ط1، 2001 ص06.

بات السّلام مطلب مُلِح وحلم يراود البشريّة عامّة، خاصّة في هذا العالم الّذي شاع فيه السلاح النّووي والبيولوجي وعند كانط إذا أردنا السّلام علينا أن نكون مستحقين للسّلام ، معنى هذا أنّنا إذا أردنا السّلام علينا الإعداد من أجله.

وقد قصد كانط كثيرًا في كتبه مسألة الإرادة الحرّة الّتي تُعدُّ أمرًا يُقصد ، وغاية تُدرك ، ولكن في بدء طلبها يقف الواجب ، فيكون بمثابة العلّة الأُولى في الوصول والتّقدم نحو الإرادة وهذا يطرح إشكال لمن التّقدم هل هو الدين أم الأخلاق ؟ نجد كانط يحاول الفصل بين الأخلاق والدين ، وهذا الأمر أشبه برجل راقص إمرأة في حفلة تنكريّة قبل أن يكتشف في نهاية المطاف أنّ من كان يراقصها هي زوجته وليست إمرأة أُخرى .

وقد وصف **شوبنهاور** الطّريقة الكانطيّة بلعبة ساحر وماهر في خفّة اليد ، وهي تُهمة تُشبه إلى حد ما تُهمة كانط نفسه لمن حاولوا تعديد الدّليل على وجود الله بين الكوني والأُنطلوجي فيما هو دليل واحد (1).

يطرح كانط ملكة ثالثة غير ملكتي المعرفة والرّغبة ، هناك ملكة ثالثة هي ملكة الشعور باللذة والألم ، وهي ما تقوم به ملكة الحُكم الّتي تعتمد على مبدأ الغرضيّة .

يتحدّد مجال فاعليّتها بالفن والجماليّات ، وهكذا تكتمل ثلاث ملكات تُقابلها ثلاث قوى ذهنيّة تعتمد على ثلاث مبادئ ، وتُبنى عليها ثلاث مجالات معرفيّة كما في الجدول الآتي:

الملكة الذهنيّة	الملكات المعرفيّة العليا	المبادئ القبليّة	النتاجات
ملكة المعرفة	الفهم	التوافق مع القانون	الطّبيعة
الشعور باللذة والألم	ملكة الحكم	الغرضيّة	الفن والجماليّات
ملكة الرّغبة	العقل	الغرضيّة الّتي هي قانون (الإلزام)	الأخلاق

تلعب ملكة الحكم دور الوسيط بين الفهم والعقل أي من الأساس المحسوس في القسم النّظري إلى الأساس المعقول في القسم العملي (2). (الشكل19)

أحدث كانط ثورة في العلوم العقليّة تُشبه الثّورة الّتي أحدثها كوبرنيكوس في علم الفلك ، ثورة في منهج الفكر الإنساني بدأت من نقد العقل الخالص ، وامتدّت إلى جميع العلوم ، فهدمت صرح الميتافيزيقا السّائِدة في عصره ، ووضعت مكانها بناءًا مُحكمًا متماسكًا ، وأرست أُسُس أخلاق جديدة نمت هذه الأخلاق مع نظريّة المعرفة في وقت واحد ، وامتدّت بجذورها في أرض النّقد بحيث يكون من الخطأ البالغ أن تُحاول الفصل بينهما ، وأن نبحث أحدهما بمعزل عن الآخر ، كما أنّه الفيلسوف الّذي أخذ على عاتقه تحليل **"معنى التّنوير"** أوّلاً ردًا على مقال لأحد القساوسة يسأل فيه عن معنى هذه الكلمة الّتي شاع استخدامها بكثرة ، وبلا تحديد ، ثمّ تفرّغ بعد ذلك لتحليل العقل في جميع مجالات استخدامه .

---

(1) ادريس هاني ، أخلاقنا في الحاجة إلى فلسفة أخلاق بديلة ، مركز الحضارة لتنميّة الفكر الإسلامي بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص 73.

(2) إمانويل كانط ، نقد ملكة الحكم ، ترجمة سعيد الغانمي ، كلمة و منشورات الجمل ، أبو ظبي بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009 ، ص ص 13 ، 14.

افتتح كانط الحداثة بكتبه الثلاثيّة حيث يقول في هذا الصّدد التّجربة لا يمكن أن تنتظم بدون المفاهيم العقليّة الّتي لا تشتق أبدًا من التجربة ، وذلك لأنّ المفهوم الّذي يستمد من التّصورات Notioneu ، والّذي يتجاوز كل إمكانيّة للتجربة هو المثال ، أو المفهوم العقلي حيث يوضح كانط مفهومه للمثال بقوله :"أفهم تحت المثال **Idee** مفهوما عقليًا ضروريًا لا يمكن أن يكون معطى مع أي موضوع مشابه في الحواس (1).

الفكرة أو المثال هي المبدأ العقلي الّذي يُؤسس وجود الأشياء لكن ليس لها وجود مستقل عن الأشياء كما هو الحال عند أفلاطون بل إنّه يجب أن تترابط مع الإدراكات لكي يكون لها واقعيّة موضوعيّة .

وبعد هذا العرض سيتم التّطرق إلى أهم ما قيل عن كانط من بعض الفلاسفة :

هيجل : ابتداءًا من كانط ينبغي أن يُعدّ الإستقلال المطلق للعقل مبدءًا أساسيًا للفلسفة وواحدًا من اعتقادات عصرنا.

شوبنهاور : لقد بدأ يقر في الأذهان بصفة عامّة أنّ الفلسفة الحقّة ، الفلسفة الجادّة لا تزال حيث تركها كانط وعلى كل حال إني أُنكر أن يكون أي تقدم في هذا الموضوع قد سُجل بينه وبيني .

وليام جيمس : أكثر متاحف العاديّات ندرة وتعقيدًا .

جون بول سارتر : لقد شغل كانط بوضع القوانين الكليّة للذّاتيّة ، وهي واحدة للجميع ، فلم يتطرّق إلى مسألة الأشخاص .

برتراند راسل : يُعد كانط بصفة عامّة أعظم الفلاسفة المحدثين ، ولا يمكنني أنا نفسي أن أُوافق على هذا التّقييم ، ولكنّ من الحماقة ألّا أُقرّ بأهميّة كانط العظيمة (2).

المبحث الثّاني : كانط والفلسفة التّطبيقيّة (نصوص وقراءات وتحليلات)

(1) جمال محمّد أحمد سليمان ، انطولوجيا الوجود ايمانويل كانط ، إشراف أحمد عبد الحليم عطيّة، دار التّنوير للطباعة والنّشر والتّوزيع ، بيروت ، د . ط ، 2009 ، ص14.
(2) جورج طرابيشي ، المرجع السّابق ، ص ص 516 ، 517.

كان للفكر الأنواري أثرٌ كبير في الفكر الأخلاقي الكانطي ، وبصفة خاصّة في نشأة الفكر البيوإتيقي ، وتبلوره ويتجلّى ذلك في إعلائِه للعقل بوصفه أداة للبحث والاكتشاف من جهة ومن جهة أُخرى بوصفه أداة لحل المشكلات الإنسانيّة ، وبالتّركيز على الجهة الثّانية الّتي بلورت فكرة حقوق الإنسان ، ورفعت شعارات مثل الحريّة والإخاء ، والمساواة ، والعدالة ، حيث يعتبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948) ، الميلاد الفعلي لهذه الحقوق ، فمن الاهتمام بحقوق المواطنين بشكل عام تمّ الانتقال إلى الاهتمام بحقوق العمال والفلاحين ثُمّ بحقوق السجناء والأقليّات العرقيّة ، وبعد ذلك إلى حقوق النِّساء والأطفال وبعدها إلى حقوق الأجانب، والمهمّشين والمجانين ، وأخيرًا تمّ توجيه الاهتمام في ميادين الطب والبيولوجيا إلى حقوق جديدة (1).

كان هناك ضرورة لمواجهة الأحداث العالميّة الّتي نمر بها ، والّتي تنبّأ بها كانط منذ أكثر من قرنين من الزمان ، إذ لابدّ من إعادة التّفكير في أقوال كانط ، وفلسفته لحماية العالم من الدّمار ، ودعواه لتشكيل هيئة دوليّة للعمل على ترسيخ سلام إنساني دائِم ، وإزالة الجيوش وتأسيس السلطة في الدول على أساس جمهوري ، وإعطاء الفلاسفة الحق في دور فاعل تنويري.

إنّ إنشاء عصبة الأُمم كان صدى لدعوة كانط الّذي كانت فلسفته في جوهرها مركبًا أخلاقيًا ونظريًا تحكمه الحريّة في غير مفاضلة بينهما في عقلانيّة نابعة من الإنسان ، وكلاهما يرتبط بخضوع إرادي للقانون الأخلاقي (2).

بنى كانط مشروعه على أساس أنّ الدول الديمقراطيّة قائِمة على القانون ، والدستور المدني والتّقيد **بفلسفة حقوق الإنسان والمواطن** ، وهذه الأخيرة هي موضوع المبحث :

تبدو البصمات الكانطيّة في **البيوإتيقا Bioéthique** واضحة خاصّة في مفهوم **الواجب** الّذي يتّضح في الواجبات الجديدة للأطباء ، والباحثين في ميادين علوم الحياة ، وما يرتبط بتلك الواجبات من مسؤوليّات متعددة نحو المرضى ، ونحو الجنس البشري ككل ، حيث يؤسس كانط فلسفته الحقوقيّة على فلسفته الأخلاقيّة ، ويعتبر الثّانيّة مقدمة ضروريّة للأولى (3).

إذ كان مفهوم الحق من المفاهيم المتعددة الدّلالة أي دلالة أخلاقيّة ، قانونيّة ، ودلالة مرتبطة بحقوق الإنسان ، فإنّ البيوإتيقا بدورها فكر أخلاقي ، وقانوني يثير الكثير من القضايا

---

(1) عمر بوفتاس ، البيوإتيقا (الأخلاقيّات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا)، أفريقيا الشّرق المغرب ، ج1 ، 2011 ، ص 36.
(2) عبد القادر تومي ، أعلام الفلسفة الغربيّة في العصر الحديث ، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع أبيار ، الجزائِر ، ط1 ، 1432ه/2011م ، ص 152.
(3) سلسلة ندوات ومناظرات رقم 143، فلسفة الحق كانط والفلسفة المعاصرة ، تنسيق محمّد المصباحي كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرباط ، ص ص 232 ، 233.

المرتبطة بحقوق الإنسان لذلك سيركز هذا المبحث على فلسفة الحق الكانطيّة في البيوإيتيقا من خلال المفاهيم الكانطيّة الّتي يتجلّى أثرها في الفكر البيوإتيقي ومن هذه المفاهيم :

الكرامة الإنسانيّة : وهي مفهوم ديني في الأصل نقله كانط من التّربيّة الدينيّة المسيحيّة إلى رحاب العقل حيث يعتبرها كانط من الحقوق الطّبيعيّة للإنسان .

الحريّة : ترتبط بالاستقلال الذّاتي ، ويظهر ذلك جليًا في الأدبيّات البيوإيتيقيّة مثل رفض كل أشكال الوصاية الأبويّة للطّبيب Paternalisme (1).

ولصيّانة هذين الحقّين أُسِّست لجان الأخلاقيّات ، وحقوق الإنسان Comités d'éthique (*) حيث يمكن اعتبار تأسيس لجان الأخلاقيّات خطوة جديدة ومتميزة في إطار حقوق الإنسان وذلك بعد خطوات سابقة :

تأسيس مفهوم الديمقراطيّة ، الإعلان عن حقوق المواطن والعقد الاجتماعي في عصر الأنوار الثّورة الفرنسيّة 1789، محاكمات نورنبورغ الّتي أُدين فيها مجرمو الحرب النّازيون سنة 1947 بسبب الجرائِم الّتي ارتكبت في حق سجناء المخيّمات النّازيّة ، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948 ،أُحيل إلى تعريف حقوق الإنسان من خلال هذا الإعلان الصّادر عن الأُمم المتحدة

يُؤكد على أنّ حقوق الإنسان هي تلك الحقوق المتأصلة في طبيعتنا ، الّتي لا يمكن دونها أن نعيش كبشر ، فحقوق الإنسان ، والحريّات الأساسيّة تتيح لنا أن نُطور ، وأن نستخدم بشكل كامل صفاتنا البشريّة وذكاءنا ومواهبنا ووعينا ، وأن نلبي احتياجاتنا الماديّة والروحيّة وغيرها وتستند هذه الحقوق إلى سعي الجنس البشري المتزايد ، من أجل حياة تتضمّن الإحترام والحماية للكرامة المتأصلة ، والقيمة الذّاتيّة للإنسان ، واحترام هويّته ، وتتأسّس هذه الحقوق على (حريّة الأشخاص على قدم المساواة ودون أي تمييز بينهم لأي اعتبار ، في التّمتع بالمزايا الّتي تُخولها لهم الطّبيعة الإنسانيّة ، وتقرها مبادئ العدالة ، وفي تلبيّة حاجاتهم المختلفة ، بما يتلاءم مع ظروف كل عصر ، ولا يضر بحقوق الآخرين ، والقانون هو الّذي يبين الحدود الفاصلة بين حقوق الفرد وحقوق الآخرين سواء كانوا أفراد أم جماعات) (2).

إضافة إلى الإعلان في و. م . أ مابين 1966/1964 عن فضائِح التّجارب على البشر في ميادين الطب والبولوجيا(3).

وهنا تتضح العلاقة جليّة بين المبادئ الّتي وضعها كانط والإعلان العالمي لحقوق الإنسان .

---

(1) سلسلة ندوات ومناظرات رقم 143 ، المرجع نفسه ، ص ص 233 ، 234.
(*) لجان الأخلاقيّات Comités d'éthique: خلايا للتأمل والمناقشة والتّفكير الجماعي في قضايا ومشاكل جديدة ناجمة عن التّقدم الهائِل الّذي عرفته التقنيّات الحيويّة مأخوذ عن سلسلة ندوات ومناظرات رقم 143، المرجع نفسه ، ص 235.
(2) مجموعة من الأكاديميين ، الأخلاقيّات التطبيقيّة والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي ، إشراف وتنسيق مصطفى كيحل ، أعمال ملتقى ، منشورات الجمعيّة الجزائِريّة للدراسات الفلسفيّة ، 2016 ،ص 148.
(3) سلسلة ندوات ومناظرات رقم 143 ، المرجع السّابق ، ص 235.

وتوسّعت اللجان الأخلاقيّة من المستوى الوطني المحلي إلى المستوى الدّولي وهو ما تُعتبر عنه منظّمة اليونسكو ، وكثرة اللجان إن دلّت على شيء إنّما تدل على تزايد الاهتمام بالبيوإتيقا في إطار احترام حقوق الإنسان ، وعليه نتساءل : ما هي الأخلاق الّتي تسعى للجان للتّعريف بها والدفاع عنها ؟

منذ فجر الإنسانيّة لم تكن الممارسات الطبيّة تخلو من آداب التعامل مع المريض ، وهذا يجعل الطب يتّصف بأخلاقيّات تُلزم من كانت له القدرة على شفاء المرضى ، وقد ظلّت هذه الأخلاقيّات ملازمة للممارسة الطبيّة إلى اليوم .

تطوّر الطب وأساليب العلاج ، وتغيّرت علاقة الطّبيب بالمريض ، حيث لم تبقى خاضعة للعفويّة بل أصبحت تتجلّى في قواعد وقوانين على الطّبيب احترامها طوعًا أو كرهًا(1) .

جاءت اللجان الأخلاقيّة كما ذكرنا سابقًا لإبراز القوانين الأخلاقيّة والدفاع عنها مثل :

حق الإنسان في الحياة ، وفي الحفاظ على وجوده وضمان استمراريّته ، وحقه في التّصرف في جسمه ، حقه في الحريّة ، حقه في الكرامة ، وكل هذه المفاهيم يعالجها كانط من خلال الواجب الّذي لا ينحصر في العلاج وفعل ما يُعتقد أنّه الأحسن بالنسبة للمريض ، بل هو أساسًا احترامه لهذا الأخير كإنسان وكشخص يتمتّع بكامل حقوقه الّتي تضمّنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهود والمواثيق الدّوليّة ، وعلى رأس تلك الحقوق حقّه في تقرير مصيره من خلال ما يُعرف بـ**"الموافقة الواعيّة Consentement éclairé"** ، ثمّ صيانة كرامة الإنسان بحيث لا يكون عرضةً للتّشيء ، ولا للامتهان أو الاستغلال (2).

ومن هنا فإنّ الحياة الأخلاقيّة هي واجبٌ أمرٌ إلزامٌ ونيّةٌ أخلاقيّة في صراع النيّة أن يفعل ذلك من الواجب ، وليس بدافع من ميل طبيعي (...) ، وتكون حالته الأخلاقيّة (...) هي الفضيلة أي النيّة الأخلاقيّة في الصراع وليس القداسة في الامتلاك المزعوم لنقاء كامل لنيّات الإرادة (3).

يُؤكد كانط على تأسيس أخلاق على العقل ، وبالضّبط العقل العملي الّذي له دور كبير في البيوإيتيقا الّتي تتأسّس على أخلاقيّات علمانيّة قائِمة على العقل والقانون وحقوق الإنسان وترفض أن تكون لاهوتيّة دينيّة ، ويظهر جليًا أنّنا لا نستطيع هجر الحقوق لا نظريًا ولا عمليًا ، في إطار الواجب الّذي يأمرنا من داخلنا "اعمل فقط حسب الحكم الّذي تريده أن يصير قانونًا كليًا للسلوك البشري ، وفعل الأمر المطلق ينبعث من داخل عقولنا وليس من عواطفنا .

المبحث الثّالث : العقل الكانطي (نظريات وتطبيقات)

---

(1) علي عبود المحمداوي ، البيوتيقا والمهمّة الفلسفيّة أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنيّة ، تقديم حسن المصدق ، الرّابطة العربيّة الأكاديميّة للفلسفة ، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف ، دار الأمان ط1 ، 1435ه/2014م ، ص 151.

(2) عمر بوفتاس ، المرجع السّابق ، ص 39.

(3) إمانويل كنت ، نقد العقل العملي ، ترجمة غانم هنا ، المنظّمة العربيّة للترجمة ، بيروت ، لبنان ط1 ، أكتوبر2008 ، ص 21.

العقل لا يرى إلّا ما يُولده هو وفقًا لخطّته ، وأنّ على العقل أن يتقدّم بمبادئ أحكامه وفقًا لقوانين ثابتة ، ويُرغم الطّبيعة على الإجابة عن الأسئلة ، ولا يدع نفسه ينقاد بحبال الطّبيعة وحدها .

Sie begriffen ,dob die vernunft nur das einsieht ,was sie prinzipien ihrer urteile nach beständigen gesetzen vor angehen und die natur nötigen nüsse , anf ihre fragen zu antworten , nicht aber sich von ihr allein gleichsam am leitbande gängeln lassen müsse (1).

إنّ بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الّذي هو مسؤول عنه والّذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد الغير ، وإنّ المرء نفسه مسؤول عن حالة القصور هذه عندما يكون السّبب في ذلك ليس نقصًا في العقل بل نقصًا في الحزم والشّجاعة في استعماله دون إرشاد الغير : تجرّأ على أن تعرف ! (sapere aude) كُن جريئًا في استعمال عقلك أنت ! ذاك شعار الأنوار(2).

وفي هذا القول دعوة لاستعمال العقل ، وخاصّة بعد عصر الظلمات الّذي عاشته أُوربا لكن بعد الثّورة الفرنسيّة 1789 ، ظهرت نزعات تدعوا إلى إعمال العقل حيث عُرف ذلك العصر بعصر الأنوار لأنّه تخلّص من ظلمات الكنيسة الّتي دفنت العبقريّات ، وهمّشت العقل ، بل وغيّبته حيث أُضطهد العديد من المفكرين والفلاسفة ، ودفعوا ضريبة ما جلبته لهم عقولهم لهم ، ولكن إذا تعدّدت المذاهب والنّزعات المطالبة بتحرير العقل وسيّادته ، فكل يجعل له توجه خاص وإطار معيّن ، وعليه ما مفهوم العقل عند كانط ؟

تتمثّل المعرفة العقليّة بمعناها الأعم من وجهة نظر كانط في إرجاع المعطيات المشتّتة الخاصّة بالمعرفة إلى الوحدة ، فالقدرة على التّأليف الّتي تسمح بالمرور من الحدوس الحسيّة إلى التّجارب المترابطة الخاصّة بموضوعات العالم هي ما يسميه "كانط" **الفاهمة** L'entendement **فارشتاند** Verstand بالألمانيّة ،ومبادئ الفاهمة الخالصة الّتي يذكرها لا تعدو أن تكون تقنينًا نسقيًا لأوليّات الفكر الفيزيائِي كما كان بوسعه تصورها ، ومع ذلك يخص كانط بإسم العقل (Raison) فارنُونفت vernunft بالألمانيّة درجة أعلى من التّأليف بين المعارف ، فإذا كانت الفاهمة هي (قوّة القواعد) أو (القدرة القائِمة على القواعد) Faculté des Règles يكون العقل قوّة المبادئ أو(القدرة القائِمة على المبادئ) Faculté des Principes (3).

---

(1) محمّد المزوغي ، عمانوئِيل كانط الدين في حدود العقل والتّنوير النّاقص ، دار السّاقي بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص 33.
(2) امانويل كانط ، ثلاث نصوص في التّربيّة ماهي الأنوار ؟ ما التّوجه في التّفكير ، تعريب وتعليق محمود بن جماعة ، دار محمّد علي للنّشر ، صفاقس ، تونس ، ط1 ، 2005 ، ص 83.
(3) جيل جاستون جرانجي ، العقل ، تعريب محمود بن جماعة ، دار محمّد علي للنّشر ، صفاقس تونس ، ط1 ،2004 ، ص 22.

وعلى هذا النّحو يُصاغ على أنّه قوّة تقوم على المبادئ أو بالأحرى إذا أراد العقل تمكيننا من معرفة موضوعات لا تكون حاضرة في التّجربة فإنّه يتجاوز مشمولاته ، وهو ما يقوم به العقل العملي ، بحيث تفرض مسلّماته نفسها على الضّمير باعتبارها أوامر قطعيّة لا شرطيّة يقول كانط " كان **أفلاطون** يُدرك جيدا أنّ قدرتنا على المعرفة تحس بحاجة أسمى بكثير من الحاجة إلى استعراض ظواهر معيّنة في إطار وحدة تآلفيّة بغية الرّبط فيما بينها على شاكلة تجربة محدّدة وأنّ عقلنا يرتقي بصفة طبيعيّة إلى معارف بالغة السمو حتّى أنّ أي موضوع يمكن أن تهبه التّجربة عاجز عن التّوافق معها " (1).

جعل **كانط** مثالًا كامنًا وراء أفعالنا هو العقل الّذي يمنحنا مبادئ المعرفة القبليّة ، وفكرة علم خاص اسمه نقد العقل الخالص الّذي يتضمّن مبادئ معرفة شيء ما على نحو قبلي تمامًا ، وإنّ أُورغانونًا للعقل المحض سيكون مجموعة المبادئ الّتي بموجبها يمكن للمعارف القبليّة المحضة أن تُكتسب أو تقوم حقًا (2).

التّطبيق المفصّل لمثل هذا الأُورغانون سيعطي سيستامًا للعقل المحض ، لكن بما أنّ ذلك يفوق قدرتنا الحاليّة ، وبما أنّه لا يزال من غير المعروف ما إذا من الممكن هنا بعامّة ،أن نوسع معرفتنا وفي أي الحالات يمكن ذلك فإنّه يمكن أن نعدّ العلم الّذي يقتصر على محاكمة العقل المحض ومصادره وحدوده بمثابة تمهيد لسستام العقل المحض ،ويجب ألّا يسمّى هذا العلم مذهبًا بل نقدًا للعقل المحض وحسب (3).

يسعى كانط إلى جعل العقل فلسفة ترنسندنتاليّة تقوم على النّقد ، وقد ضمّن كتابه نقد العقل المحض مجموعة من المفاهيم نذكر بعضها :

- في الفرق بين المعرفة المحضة والأمبيريّة : الأُولى تقوم على المعارف القبليّة الّتي لا يخالطها أي شيء أمبيري ، والثّانية تجريبيّة تقوم على الحواس مصدرها بعدي أي في التّجربة .
- يوجد معارف قبليّة معيّنة حتّى الفاهمة العاميّة لا تخلو من مثلها: تحدّث كانط في هذا العنصر عن بعض الأفكار الّتي ترجمها المترجم باسم الأمبيريّة ، أو الأفاهيم التّجريبيّة كاللّون ، والصّلابة ، والرخاوة ، والوزن ...، حيث قال أنّه إذا كانت هذه المفاهيم تجريبية يوجد مفاهيم تجريديّة ، كما قال أنّ مقرّها قبلي مثل فكرة المكان.
- الفلسفة بحاجة إلى علم يعين امكان كل المعارف القبليّة ، ومبادئها ، وماصدقها ، تحدّث في هذا الجزء عن بعض المفاهيم الّتي تفوق حقل جميع التّجارب الممكنة ، وأسماها مشكلات العقل المحض ، وهي الله ، والحريّة ، والخلود ، وأسمى العلم الّذي يبحث في هذه المفاهيم ميتافيزيقا ، ومنهجها دوغمائي أي تعصبي حيث رأى أنّه قبل أن نغوص في الميتافيزيقا ينبغي أن نفحص الأداة الّتي تقوم بذلك ، وهي العقل .

---

(1) جيل جاستون جرانجي ، المرجع نفسه ، ص ص 22 ,23.
(2) عمانوئيل كنط ، نقد العقل المحض ، ترجمة وتقديم موسى وهبة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص 54.
(3) عمانوئيل كنط ، المصدر السّابق ، ص 54.

- في الفرق بين الأحكام التّحليليّة والتأليفيّة : الأُولى تفسيريّة (كل الأجسام ممتدة) ، والثّانية توسعيّة (كل الأجسام هي ثقيلة) (1).

تتضمّن علوم العقل النظريّة تتضمّن أحكامًا تأليفيّة قبليّة بوصفها مبادئ أعطى كانط مثالًا عن الأحكام الريّاضية حيث قال أنّها مصحوبة بضرورة لا يمكن أن نستمدها من التجربة .

ثمّ تحدّث عن المشكلة العامة للعقل المحض بطرحه للسؤال التّالي : كيف يُمكن للأحكام التّأليفيّة القبليّة أن تَكُون ؟ ، وبما أنّ العقل يقع أحيانًا في تناقضات لا مفر منها وفي كل مرّة يحاول الإجابة عليها مثل : هل للعالم بداية أو هل وُجد منذ الأزل ؟(2).

هذين السؤالين كما بيّن كانط يجعلان العقل البشري أمام موقفين إمّا بالحكم عليه بقصوره وعدم إدراكه لبعض المسائل ، وإمّا بوضع حدود لهذا العقل ، وفي كلتا الحالتين هذا نقدٌ للعقل وهو يؤدي بالضّرورة إلى علم ، وما دام العقل لا يوجد له مكان في التجربة يقول كانط :" إلّا أنّه يجب أن يكون في مكان ما مصدر للمعارف الإيجابية الّتي تنتمي إلى مجال العقل المحض الّتي قد لا تكون مناسبة للغلط ، إلاّ بفعل سوء الفهم ، في حين أنّها تشكل في الواقع هدف حماسة للعقل ، وإلّا لما سننسب رغبته الجامحة في إيجاد موطئ قدم ثابت كليًا في مكان ما خارج حدود التجربة ...(3).

وما يعنيه كانط بقوله خارج حدود التجربة هو العقل العملي حيث يطرح كانط ثلاث أسئلة هي:

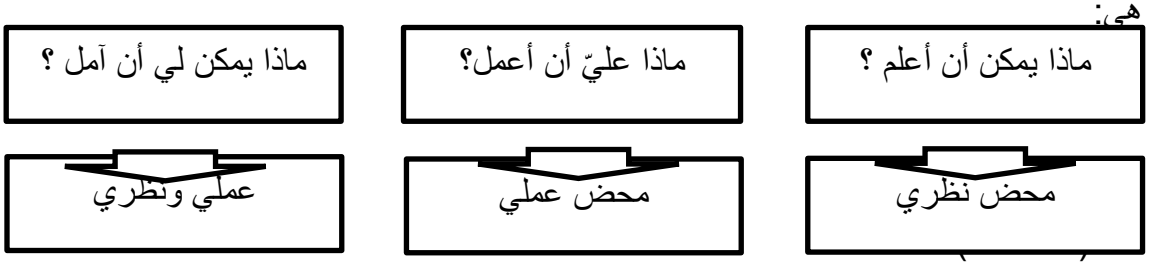

يقصد كانط بمحض عملي ذلك الجانب من عقلنا النّظري الّذي مجاله البحث في الأخلاق والدين ، فحتّى بعدما قرّر أرسطو أنّه لا مهرب من دراسة الفلسفة حتّى لمن ينكرونها يقرر كانط ذلك بقوله :" للعقل الإنساني تلك الخاصّة الغريبة ، وهي أنّه في فرع من فروع معرفته مثقل بأسئلة تمليها طبيعة لا يستطيع تجاهلها ، لكنّه عاجز عن الإجابة عليها حيث تتعدّى كل قدراته(4).

هذه الخاصّة الّتي طرحها كانط هي خاصّة التّفلسف ، وطرح أسئلة على شاكلة الأسئلة السّابقة .

يبقى السؤال المحوري والمهم في العقل العملي : ماذا عليّ أن أعمل ؟ ، ووفق ماجاء في نقد العقل العملي يتّجه كانط لطرح التساؤلات التالية : كيف تكون الأخلاقيّة ممكنة ؟ أي كيف

---

(1) عمانوئيل كنط ، المصدر نفسه ، ص 46 ، 47 ،48 ، 49.
(2) عمانوئيل كنط ، المصدر السّابق ، ص 50.
(3) عمانوئيل كنط ، المصدر نفسه ، ص 381.
(4) محمّد المزوغي ، المرجع السّابق ، ص ص 46 ، 47.

يكون تعيين محض للإرادة ممكنًا؟ كيف يستطيع العقل أن يبرر القانون الأخلاقي ليكون قادرًا على تعيين إرادة حرّة؟(1).

القانون الأخلاقي يختلف عن القانون الهندسي ، كون الأوّل غير مشروط لأنّ الإرادة مستقلّة عن الشروط التجريبيّة ، أمّا الثّاني أي القانون الهندسي هو بمثابة قضايا تطبيقيّة والقانون الأخلاقي واقعة العقل ، وهو يفرض نفسه علينا من ذاته كونه قضيّة تركيبيّة قبليّة مستقلّة عن العيان والتّجريب ، وهو يقول حسب ما جاء به كانط : هكذا أُريد وهكذا آمر به (2).

والقانون الأخلاقي تخضع له كل الكائنات العاقلة بوصفها تملك إرادة بعامة ، ويشمل هذا القانون حسب كانط حتّى الكائن اللامتناهي بوصفه العقل الأسمى ، ولكن في الحالة الأُولى يأخذ القانون صيغة أمر ، كون القانون الأخلاقي غير مشروط ، إضافة إلى أنّها كائنات عرضة للتأثر بحاجات ودوافع حسيّة ، وهذه العلاقة بين القانون والكائن العاقل هي التّبعيّة في إطار ما يسمّى بالإلزام الّذي يعني الإكراه بالقيام بفعل يُسمّى الواجب حيث يُعين الأُسُس العمليّة الماديّة المعينة في مبدأ الأخلاقية ، ويرى أنّها ذاتية ، وهذا ما يوضحه الجدول الآتي(3) : (الشكل21)

خارجيّة	داخليّة
التربيّة الشعور الطّبيعي إرادة إله	الدستور المدني الشعور الأخلاقي الكمال

حيث يرى أنّ الأسباب الخارجيّة هي تجريبيّة ، وغير صالحة لإقامة مبدأ كلي للأخلاق ، أمّا المجموعة الثّانية ، والّتي اعتبرها موضوعيّة مؤسّسة على العقل لأنّ الكمال ، الجوهر ، الله مفاهيم عقليّة .

وضع كانط لوحة لمقولات الحريّة بالنسبة إلى مفهومي الخير والشّر :

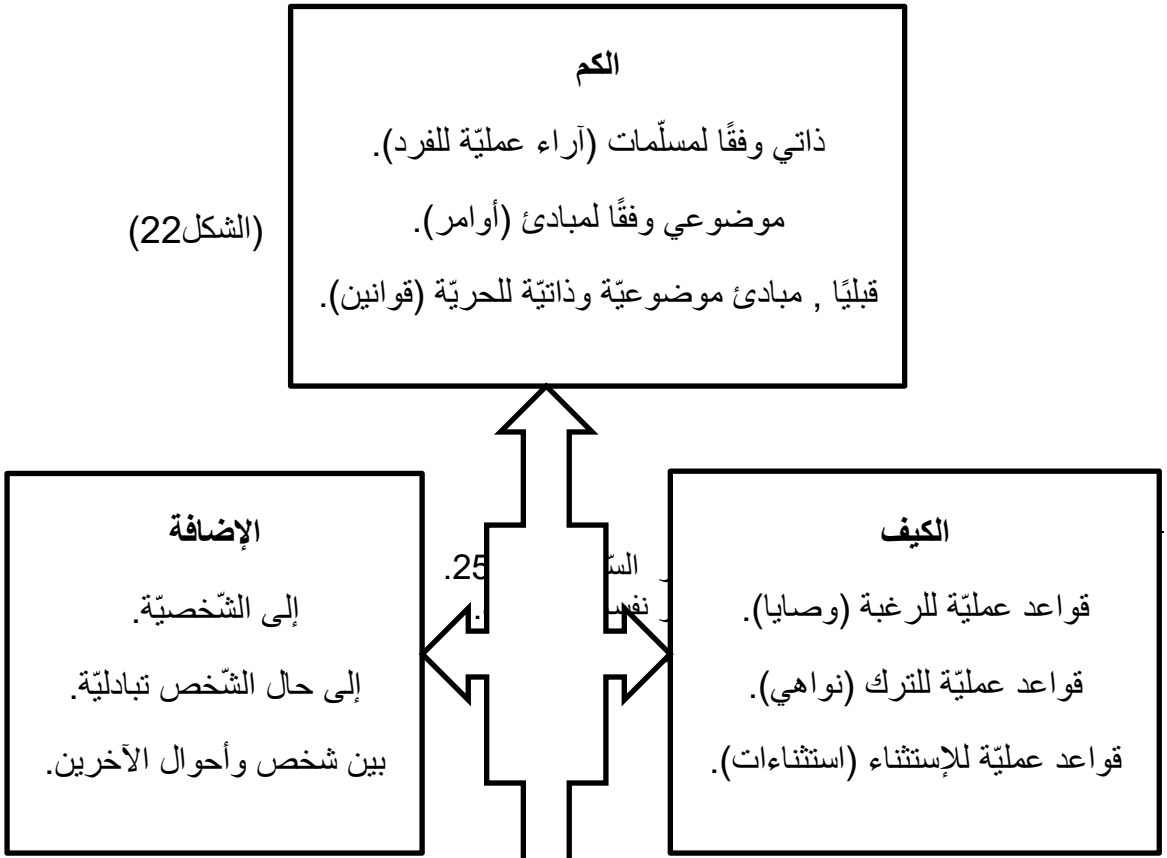

(الشكل22)

.(1)

هذا المخطّط يعبر عن تنظيم للمبادئ و الاعتبارات العمليّة الّتي يجب أن يراعيها المرء تتوسّط الملكتين السّابقتين "المعرفة" و"الرغبة" ملكة الحكم ، الّتي تنقسم إلى قسمين :

1) ملكة الحكم المحدّدة : تحديد المفاهيم من خلال تمثل تجريبي معطى .
2) ملكة الحكم التأمليّة : (الجمال) لذّة ولكن ليست حسيّة ، فرديّة لكنّها تحظى بالإجماع الكلي تمثل ذاتي غير أنّه لا يستعين بالمفاهيم (2).

يظهر من خلال الخصائص الّتي يعطيها كانط للجميل يُثقل كفّة الميزان بأمور تبدو متناقضة ولكنّها تعتمد على حكم جمالي يقوم على النّقل من الأساس المحسوس في القسم النّظري إلى الأساس المعقول في القسم العملي .

الطّبيعة مع كانط هي دومًا شيء ثانوي ، الطّبيعة ذاتها هي بدون غرض أو تصميم كلاهما يعطي أو يُعرف من خلال الفن بالرغم من جمالها ، الطّبيعة يجب أن تضحي بنفسها لتُصبح فنًا ، في مصطلح كانط إنّها مشوّهة بالفهم وغرضها موضّح (3).

يعد هذا العرض الموجز الّذي اقتصر على المؤلّفات الثلاث الشّهيرة لكانط نظرة لمفهوم العقل عند كانط في الجانب النظري و العملي ثمّ الجمالي ، وهو ما يجعل كل اتجاه فلسفي يجد في فلسفة كانط النّقديّة ضالّته ، وقد افتتح كانط الحداثة بمنهجه ، وبقي متجذرًا فيما بعد الحداثة في

---

(1) امانويل كنت ، نقد العقل العملي ، المصدر السّابق ، ص 134.
(2) إمانويل كانط ، نقد ملكة الحكم ، ترجمة سعيد الغانمي ، كلمة ومنشورات الجمل ، بيروت ، لبنان ط1 ، 2009 ، ص 23.
(2) Micheal york , pagan Ethics paganisn as a world Religion , springer library of congress control number , amsterdam , noord holland ,the netherlands , 25 july 2013, p 107.

قراءات بعض الفلاسفة أمثال ميشال فوكو وجاك دريدا .

المبحث الرّابع : موقف الفلاسفة المعاصرين من تطبيقات كانط

يتضمّن هذا الجزء فلاسفة ما بعد الحداثة للفلسفة الكانطيّة حيث تزداد أهميّة فلسفة كانط زيّادة مستمرّة في العصر الحالي ، ويتجلّى ذلك في مظاهر متعددة منها تكوين جمعيّة **الكانطيين بباريس 1988** ، وعودة الفلاسفة المعاصرين للفلسفة النّقدية بالقراءة والتفسير في العديد من الجوانب في الهيرمونيطيقا لدى **جادامر** و**ريكور** ، و**هيدغر** ، وهناك قراءة تحليليّة وقراءة ماركسيّة ،وقراءة بنيويّة ، وقراءة حداثيّة ، وهذا راجع إلى ثراء الفلسفة النّقدية الّتي توقّف أمامها

الفلاسفة الجدد , أصحاب ما بعد الحداثة , أو فلسفة الاختلاف.

وجدت فلسفة كانط تفسيرات وقراءات عديدة منها أنّها فلسفة تحليلية :

1) الفلسفة النّقديّة فلسفة تحليليّة هكذا كتب مناصر الوضعيّة المنطقيّة ، والفلسفة التحليليّة **زكي نجيب محمود** في الفصل الثّاني من كتابه (موقف من الميتافيزيقا) ، فقد أراد أن يجعل للميتافيزيقا معنى من تحليل القضايا العلميّة (1).

2) تأسيس الأخلاق الاشتراكية على نظرية كانط في الفكر العملي خاصّة في محاولة تطبيق الترنسندنتالية الكانطية على نظرية المادية التاريخية .

3) يمكن أن نلتمس كانطيّة بنيوية لدى **كلود ليفي ستراوس** حيث يبدو تأثير كانط على الأنثروبولوجيا البنيوية عنده حيث يقول **ستراوس** :" عندما نضع كهدف لأبحاثنا ، الكشف عن الإكراهات الذهنيّة ، فإنّ إشكاليتنا تلتقي مع الفلسفة الكانطية ، على الرغم من كوننا نسلك سبلاً أُخرى (2).

---

(1) زكي نجيب محمود ، موقف من الميتافيزيقا ، دار الشروق ، ط1 ، القاهرة ، 1987 ، ص 42.
(2) عبد الرزاق الداوي ، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة ، بيروت ،1992 ص 81.

أثّرت فلسفة كانط تأثيرًا مباشرًا ، ومستمرًا يبدو جليًا باسم الكانطية الّتي تشمل كل مذهب فلسفي مستمد من العقائد المركزية في فلسفة كانط النقدية ، وهذا يبدو واضحًا عند **فتغنشتين** في تصوره للقيود غير القابلة لأن يُعبّر عنها ، والّتي تُقيد خبرتنا ، وخصوصًا في إشارته إلى نفس ميتافيزيقيّة تضع حدود العالم ومن ثمّ ليست جزءًا منه(1) .

ولكن ما يهمنا هو التركيز على الجانب الأخلاقي لدى كانط بصفة محدّدة الواجب الكانطي ، فالأفعال الأخلاقيّة تنبع من واجب عقلي للإنسان صاحب الإرادة أمّا الأفعال العفويّة لاتعتبر أخلاقية حتّى وإن حقّقت خيرًا بالصدفة وذلك بالنّظر إلى الخصائص الأساسية للواجب العقلي فهو مثالي عام ومطلق ، صارمٌ ، مطلوب لذاته ، ليس مشروط بأي شرط نابع من حرية الإرادة الإنسانية حيث يميز كانط بين الأوامر المشروطة , والأوامر المطلقة (2): (الشكل23)

من أراد الغاية أراد الوسائل أيضًا مثال : إذا أردت أن تحيا سعيدًا فكن صالحًا.	أمر ضروري في ذاته بصرف النّظر عن غاياته مثال : كُن خيّرًا .

نجد **نيتشه فردرش** (1900/1844) الّذي أعلن أنّ فلسفته تقوم بإعادة تقييم جميع القيم وأعلن أنّ كانط هو مسيحي ماكر شُنق في يأس البقايا المتبقية من الميتافيزيقا حيث يرى أنّ الأمر المطلق يؤدي إلى العودة إلى الله عن طريق تقييم الشعور بالإلتزام ، ويقول **نيتشه** : " النّزعة الشكيّة عند كانط تُنتج عرضًا نقديًا للمعرفة والحرية الّتي تؤدي بالضّرورة إلى طرح الميتافيزيقا وهذا كما أشرنا تأثُرُ بعض الفلاسفة بفيلسوف الواجب ، وفي هذا الصّدد نجد مارتن **هيدغر** (1976/1889) يقول عن الشّيء في ذاته أنّه لا يكمن فوق أو وراء الظّواهر كما يذهب بعض تراث الميتافيزيقا ، بل إنّ الشّيء في ذاته يظل بالأحرى مستترًا أو خافيًا لأنّ ظاهره هو الخفاء ، وما ينكشف عنه هو قدرتنا على أن نرى ذلك ، وهذا يعني أنّ الشّيء في ذاته لا يمكن أن ينفصل عن الوعي المتناهي ، ولتحديد الوضع التاريخي الرّاهن طرح **ميشال فوكو** (1984/1926) سؤال : ما الاختلاف الّذي قدّمه اليوم عن الأمس ؟

يرى فوكو أنّ مقالة ما التّنوير ؟ **لكانط** تسرد موضوعات تتقاطع بها مشكلات الفلسفة ومشكلات **الحداثة** ، حيث يتفق فوكو مع **كانط** في أنّ **الحداثة** ينبغي أن تتسم بالموقف الّذي يعتمد على التفاعل بين الاستخدام العام ، والخاص للعقل ، غير أنّ عمليّة النّقد لا تفصل الحالة عن الفرد ولا عن المستخدم عمّا يستخدم ، ويُحدد فوكو النّقد بأنّه :"الخلق الدّائم لأنفسنا في استقلالنا الذّاتي" (3).

---

(1) تدهوندرتش ، دليل أكسفورد للفلسفة ، ترجمة نجيب الحصادي ، تحرير الترجمة منصور محمّد البابور ، ومحمّد حسن أبوبكر ، مراجعة اللغة عبد القادر الطلحي ، المكتب الوطني للبحث والتطوير الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى ، ج2 من حرف ظ إلى حرف ي ، د. س ، ص 767.
(2) محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع عبده غريب عبده غريب ، القاهرة ، د.ط ، 1998 ، ص ص 163 ، 164.
(3) كرستوفروانت وأندزجي كليموفسكي ، أُقدم لك كانط ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2002 ص 171.

لم يقف التأثير عند فوكو بل تعدّاه إلى الفيلسوف **جاك دريدا** (1930) الّذي يقرر أنّه لا يوجد شيء خارج النّص ويقول :" أنا أعتقد أنّ ما يحدث في عالمنا المعاصر ويُدهشنا على أنّه جديد بصفة خاصّة يرتبط ارتباطًا ضروريًا في الواقع بشيء قديم إلى أقصى حد وذلك هو ما يُشار إليه في تراثنا التاريخي في اليونان ، عند أفلاطون ، وعند ديكارت ، وعند كانط ....، كما حلّل **جاك دريدا** كتاب نقد ملكة الحكم في كتابه الحقيقة في التّصوير الرّسم عام (1978) ورأى أنّ عدم الاتساق في نقد ملكة الحكم يتطوّر كنتيجة للخيال الجامح عند كانط في أنّ الحصول على الحقيقة هو أن تتحقّق غاية الكتابة (1).

لا يوجد شيء خالٍ من الخطأ فكل ذات لها إمكانيّة الخطأ حيث لم يسلم فيلسوفًا من النّقد والنقاش ، وهذا هو لب الفلسفة وبرلمان العقل .

من البديهي بذاته أنّ محب الحكمة لا ينبغي عليه يُبجل شيئًا آخر في حياته سوى الحكمة وهي تحتم عليه طلب الحقيقة لذاتها ، والفيلسوف لا يُعظِّم ، ولا يُنزه أحدًا ، ومن يدّعي أنّ هناك مُفكرًا عظيمًا غير قابل للنّقد فقد أوصد الباب منذ البداية أمام تفعيل طاقات الذهن بحريّة.

المبحث الخامس : مابعد كانط (استثمار المشروع الكانطي تطبيقيًا)

كان موت كانط توقف للحياة وفعلاً عنيفًا للطّبيعة كما يقول أحد تلامذته ، فقد صاغ القانون الأخلاقي باعتباره ضرورة موضوعيّة وذاتيّة في آن ، أي أنّه كوني ومحل اتفاق بين العقول وتلتزم به الذّات عن اقتناع عقلي لأنّها من تلقاء نفسها وبمقتضى تكوينها الذّاتي لا يمكن تحديدها إلا عن طريق تمثل الخير(2).

فرض الفكر الأخلاقي الجديد نفسه على ساحة البحث والمناقشة يُعيد طرح القضيّة الأخلاقيّة باعتبارها احدى القضايا الأكثر ارتباطًا بجوهر الإنسان كما يُعالجها بعلاقتها بحقوق الإنسان الّتي أصبحت احدى الإهتمامات الكبرى للإنسان المعاصر ، ولا شكّ أنّ للعلم والصناعة والتقنية أدوارًا مهمة في حياة الإنسان الفرديّة والجماعيّة ، البيولوجيّة والثّقافيّة ، ولكن ما قيمة هذه الأنشطة إن لم تخدم الإنسان بما هو إنسان ، أي الجانب القيمي والأخلاقي منه ؟

يجب تناول الأخلاق ليس كموضوع نظري فحسب ، بل أساسًا كموضوع واقعي عملي يرتبط **بالأخلاقيات التطبيقية** Les éthiques appliquées المعاصرة ، ففي الدول الّتي قطعت أشواطًا هامّة في درب التّقدم أصبح الفكر الأخلاقي الجديد يستقطب حاليًا أهم الدراسات والأبحاث فهناك ندوات وأبحاث جامعيّة لا تُحصى في الكليّات الأوربية والأمريكيّة (3).

ولكن السؤال الّذي يبقى مطروح هل الأخلاق في أزمة نعاني منها ؟ وهل الأخلاق تساهم بقوة في بناء مستقبل مأمول ؟

---

(1) كرستوفروانت وأندزجي كليموفسكي ، المرجع نفسه ، ص 176.

(2) عبد القادر تومي ، المرجع السّابق ، ص 165.
(3) عمر بوفتاس ، المرجع السّابق ، ص 08.

يبدو واضحًا في العصر الّذي نعيش فيه أزمة أخلاق حيث سيطرت الآلة في ظل رغبة الإنسان في السّيطرة على الطّبيعة ما طرح مشاكل ومسائل عديدة منها : الانشطار النّووي وأخطاره الجسيمة على الإنسان والطّبيعة ، وعلم إيكولوجي يدرس الإنسان وعلاقته وبيئته حيث لم يعد العالم والعلماء يبحثون عن العلم ، ولكن البحث عن إنسانيّة العلم حيث يذكر برغسون في خطاب ألقاه مطلع عام 1912 عن التقدم المذهل للمسيرة العلميّة فيقول :" لقد قطع العالم عن طريق العلم والتقنيّة خلال أقل من مئة سنة أشواطًا تفوق تقدمه مُنذُ وُجد "(1).

يُفسّر التقدم العلمي بكلمة واحدة هي **النّقد** كما يرى كارل بوبر لأنّه يُبرز ثوريّة التقدم العلمي ، حيث يجعل بوبر للعالم دورًا إيجابيًا في خلق قصّة الحياة وتطوراتها (2).

إنّ المجال الّذي يعجز فيه العلم المادي عن تفسير الظّواهر الملحوظة هو مسألة الوعي البشري والوعي يعني الحالات الذهنيّة الذاتية ، وهي الأحاسيس والمشاعر والعواطف ، لكن نجد بعض المؤلفين مثل **هانس مورافيك** Hans Moravec **وراي كورتزفايل** Ray Kurzweil يتنبّؤون بأنّ الآلات إذا بلغت مستوى ضروري من التعقيد فستكتسب كذلك صفات بشرية كالوعي وإذا كان الاثنان عل حق ، فسيكون لذلك عواقب مهمة بالنسبة إلى مفاهيمنا عن الكرامة الإنسانية ، لأنّ ذلك يعني أنّه قد تحقّق البرهان القاطع على أنّ البشر ليسوا جوهريًا أكثر من آلات معقّدة يمكن أن تُصنع من السليكون والترانزستورات بسهولة صنعها من الكربون والعصبونات(3).

تعد سلسلة العواطف البشرية مصدر القيم الإنسانيّة بالقدر الّذي يحمله العقل ، والخيار الأخلاقي الإنساني من أهميّة .

يعتبر الإطار التنظيمي للتقنية الحيوية البشرية أقل تطورًا بكثير من بعض التقنيات كالتقنية الحيوية الزراعيّة ، ويرتكز على مجالين هما : مجال إجراء التجارب والموافقة على تداول الأدوية ويرجع هذا البطء في التطور إلى فعاليّة القيود الأخلاقية خاصّة فيما يتعلّق بالاستنساخ البشري والهندسة الوراثية .

يعمل الأطباء على معالجة المرضى ، وليس تحويل الأصحاء إلى **آلهة** ، نحن لا نريد لنجوم الرياضة أن يصابوا بالعرج بسبب ركبة مصابة أو أربطة ممزقة لكنّنا أيضًا لانريد منهم أن يتنافسوا على أساس تعاطيهم أكبر جرعة من **الستيرويدات** .

---

(1) فهمي حسين ، أثر التقدم العلمي على الإنسان والبيئة في العصر الحديث ، مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان ، دار كرام ، يوليو 2009 ، ص 437.

(2) يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين (الأُصول – الحصاد – الآفاق المستقبلية) سلسلة عالم المعرفة ، عدد رقم (264) ، الكويت ، د. ط ، ديسمبر 2000 ،ص 366.

(3) فرانسيس فوكوياما ، مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيّة ، علي مولا ، أبو ظبي ، دولة الامارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2006 ، ص 209.

يتيح لنا هذا المبدأ العام استخدام التقنيات الحيوية في علاج الأمراض الوراثية ، أو التليف الكيسي ، ولكن ليس في أن نجعل أطفالنا أكثر ذكاء ، أو أطول قامة (1).

جادل **ميشال فوكو** مفكر ما بعد الحداثة Michel foucault فقال أنّ ما يعتبره المجتمع من المرضيات ، أو الأمراض هو في الواقع ظاهرة من صنع المجتمع يوصم فيها الانحراف عن معيار مفترض ومثال ذلك المثلية الجنسية ، الّتي كانت تعتبر لفترة طويلة أمرًا شاذًا ثمّ صنفت في الجزء الأخير من القرن العشرين كاضطراب نفسي(2) .

لوحظ في الآونة الأخيرة تزايد مثليي الجنس حيث بدا هناك نوع من القبول لهذه الفئة من المجتمع خاصّة في المجتمعات المتقدمة تحت شعار الحرية والحقوق ، بهذا يمكننا توقع عالم مليء بالرّخاء والمساواة والرعاية والعناية ، بل ورعاية صحية أفضل وأعمار أطول وربّما ذكاء أعلى ، ولكن ليس علينا قبول أي من هذا تحت شعار زائف للحرية ، خاصة حرية إجراء البحث العلمي بدون قيود ، ولا يتعيّن علينا اعتبار أنفسنا عبيدًا للتقدم التقني المحتوم ، عندما لا يخدم هذا التقدم غايات الإنسان ، فالحرية الحقيقيّة تعني حريّة المجتمعات السياسيّة في حماية أغلى قيمها ، وتلك هي الحرية الّتي نحتاج إلى ممارستها فيما يتعلق بثورة التقنية الحيوية اليوم.

خاتمة

دخلت البشريّة حقبة جديدة فريدة من نوعها ، بسبب تسارع وتيرة التقدم العلمي والتكنولوجي الّذي حقّق طفرات معرفيّة فتحت آفاقًا جديدة أمام الإنسان المعاصر خاصّة في مجال البيولوجيا المعاصرة ، إلى درجة أصبح معها العلم قادرًا على تغيير الطّبيعة وتغيير الكائنات الحية بما فيها الإنسان ، وهو ما يُنبئ بتحولات جذرية في علاقة الإنسان بجسمه وبهويّته وبمستقبله وبقيّمه ، ممّا يجعله في قلق وخوف من المستقبل الّذي تُرسم ملامحه ، وهذا ما عجّل بعودة الأخلاق إلى الواجهة ، حيث طرحت إشكاليّات أخلاقيّة جديدة ، تُعالجها الأخلاقيّات التّطبيقيّة الّتي تهتم بالمساواة والحق والكرامة ، والإنصاف ، والحياة السعيدة ، والخير والحرب وإعادة النّظر في معاني الحياة والإنسان والموت والمصير ...

لأجل هذا بدأ الإحساس بالحاجة الملحة إلى فلاسفة ومفكرين في هذا الميدان ليس من أجل التّوصل إلى حلول ولكن لتوضيح طبيعة المشكلات الّتي يمكن مواجهتها ، وقد ظهر حضور قوي للفلسفة في مجال الطب والأخلاق الطبيّة الّتي هي تجديد لمبحث مهم في الفلسفة وهو الأكسيولوجيا (مبحث القيم) ، حيث كانت الفلسفة لا تُعنى بمثل هذه المسائل لأنّها عمليّة

(1) فرانسيس فوكوياما ، المرجع السّابق ، ص 257.
(2) فرانسيس فوكوياما ، المرجع نفسه ، ص 257.

وهي مسائل ناجمة عن مشكلات في المهنة ولكن في الوقت الراهن يمكن القول أنّ الفلسفة أصبح لها دور مثل بقيّة العلوم حتّى أنّه يمكن القول أنّ القرن العشرين هو قرن الأخلاق العمليّة لذا وجب قراءة هذا العصر بفكر واعي أُسميه التفلسف ، وهذه دعوة صريحة من المولى عزّ وجلّ حين يدعو في عديد آياته لإعمال العقل ، وذلك لمعرفة الخالق من جهة وتطوير الوجود من جهة أُخرى ، والسّيطرة على الظّواهر الطّبيعيّة وتسخيرها لخدمة مصالحه والانتفاع بها والتفلسف لا يعني شيئًا دون العقل ، ذلك لأنّه ينتمي لأسمى ما يتّصف به الإنسان وهو التّفكير وبهذا فهناك مسائل أخلاقيّة وجب على كل إنسان الاهتمام بها ، فكل واحد منّا يحتاج لأن يبني تصرفاته ويبررها بالرجوع إلى مبدأ خلقي ، وإذا لم يتّخذ الإنسان لنفسه موقفًا بالنسبة للمشكلات الّتي تعرض له وآثر أن يكون سلبيًا ، فإنّ هذه السلبيّة تكون ضدّ الأخلاق (أي ضدّ الإنسانيّة).

وقد نادى بذلك فيلسوف التنوير إيمانويل كانط الّذي يعد الوجه الأبرز للحداثة الفلسفيّة بمختلف إشكالاتها ومبادئها ، وذلك بممارسة **النّقد** الّذي جعله شعارًا أساسيًا للفكر الأخلاقي المعاصر .

يجب مراعاة الحياة بشكل أكثر جديّة وحزم فمن قتل نفسًا كمن قتل النّاس جميعًا ، حيث لا يجب أن تقتصر الحياة على الجانب البيولوجي فقط ، بل يجب أن يتّسع ليشمل الجانب النّفسي والاجتماعي للإنسان ، وعدم تعريضه لأي مكروه مادي ، أو معنوي على أن يستنفذ حقّه كاملًا في الحياة الكريمة على ألّا يكون أي تدخل في هذه الحياة إلاّ للضّرورة القصوى كالعلاج لا غير .

عالجت في بحثي هذا موضوعات متفرقة تناولتها المباحث والفصول ، وكما ضمّنت المقدمة تفاصيل البحث ستتضمّن خاتمة البحث مجموعة استنتاجات عن كل مبحث حوته المذكرة على النّحو التّالي :

الفصل الأول : من الفلسفة إلى الفلسفة التطبيقيّة " مقاربات مفاهيميّة "

1-1- الفلسفة : استنتج من هذا المبحث أنّ الفلسفة جزء من حياة كل إنسان حتّى لو أنكرنا ذلك ، فالتفلسف كفعل نابع من طبيعة تكوين العقل البشري ذاته.

1-2- الأخلاق/الإتيقا : عندما نتحدّث عن الأخلاق نتحدث عن العلوم الإنسانية بحيث لا يوجد تفسير لها ،إذ لا يمكننا القول : لماذا الأخلاق ؟ لأنّ هذا يطرح في نظري لماذا يوجد غشاشين ؟.

1-3- الأخلاقيات/البيوإتيقا : الأخلاق التطبيقيّة : استنتج أنّها نتاج التّقدم العلمي والتكنولوجي إذ هي غريبة على مجتمعنا العربي ، وإن ظهرت بعض بوادرها في مجتمعنا ، ظهرت كرد فعل على المخاطر الّتي أصبحت تُهدد الإنسان.

1-4- العقل : بين الفيلولوجيا والبيولوجيا والأكسيولوجيا : العقل هو مايميز الإنسان عن سائر الكائنات الحيّة ، وهو ما يجب الحفاظ عليه بحفظه من الأضرار الماديّة(مثلا تناول الخمر والمخدرات) ، وأضرار أُخرى غير ماديّة مثل تعاطي الأفكار المسممة مخلة بالأخلاق.

الفصل الثاني : الفلسفة التطبيقيّة وقضايا العقل : مقاربات معاصرة

2-1- إشكالات العقل في الفلسفة التطبيقيّة : يجب التحلي بالمسؤوليّة لتجنب الأخطار وبالتالي العقوبة ، ومواجهة مشكلات التأمين .

2-2- أخلاقيات الجراحة العصبيّة : لا بد من الوعي بالمخاطر الّتي يمكن أن تنجم عن تكنولوجيا الحياة بصفة خاصّة .

2-3- أخلاقيّات الأدوية والجهاز العصبي : ليس كل دواء نافع ولا يجب الإيمان في المسبب وننسى السّبب ، يجب حظر استيراد بعض الأدوية لأنّها تفتك بالعقل البشري .

2-4- الموقف الإيتيقي من موت الدماغ : التجارب على البشر تخلق العديد من المسائل الّتي أسالت الكثير من الحبر خاصّة : مسألة الموافقة الواعية ، احترام الأشخاص ، موت الدماغ ، الحالة النباتية.

2-5- الممارسة الأخلاقية مع المرضى النفسانيين والعقلانيين : ضرورة الحفاظ على السر المهني خاصّة ممتهني الطب ، فالحاجة للعلاج هي من كشفت سر المريض لذا يجب اعتباره أساس المهنة ومصداقيّتها.

الفصل الثّالث : المشروع التطبيقي لإيمانويل كانط

3-1- كانط إيمانويل "السيرة والمنهج والتوجهات" : كانط فيلسوف ألماني نقدي ، ورّث البشريّة أخلاقيات الواجب .

3-2- كانط والفلسفة التطبيقية (نصوص وقراءات وتحليلات) : الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يعود الفضل فيه لكانط الّذي صاغ مفهوم الواجب ، ومفهوم الكرامة الإنسانية الّتي لم تقتصر على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بل تعدّت كل المهن، بل وكل مجالات الحياة .

3-3- العقل الكانطي (نظريات وتطبيقات) : استنتج بما يقوله كانط : كن جريئًا في استعمال عقلك .

3-4- موقف الفلاسفة المعاصرين من تطبيقات كانط : الالتزام بالمسؤوليّة هو ما أخذه كل فيلسوف على كانط سواء بالنّقد أم بالتبني ففي كلتا الحالتين تبني .

3-5- ما بعد كانط (استثمار المشروع التطبيقي الكانطي) : رحل كانط وخلّف وراءه أعظم فلسفة نقديّة شهدتها البشرية كما قال شيئان يملآن الوجدان بإجلال وإعجاب يتجددان ويزدادان على الدّوام كلّما أُمعن التّأمل فيهما : "السّماء ذات النجوم من فوقي والقانون الأخلاقي في صدري" ، فكذلك نحن نملك آمران ايماننا بالله والضّمير الأخلاقي.

خلصت باستنتاجات عامة ،كانت على النّحو الآتي :

البيوتيقا تشكل مقاربة جديدة لأخلاقيات الطب بشكل خاص ، وللأخلاق التطبيقية بشكل عام .

ضرورة الوعي بالمخاطر الّتي مكن أن تنجم عن تكنولوجيا الحياة .

يجب أن يهتم الفكر البيوتيقي بالمشاكل الأخلاقيّة الراهنة .

ضُرب قانون كانط عرض الحائط فلم يعد **الواجب من أجل الواجب** ، بل الواجب من أجل منفعة.

من خلال الاستنتاجات السّابقة أقترح التّوصيات التاليّة :

- نشر ثقافة المسؤوليّة الأخلاقيّة ، وفرض عقوبات على المخالفات .
- تسهيل عمل المنظمات الأخلاقية، والحقوقيّة ، ودفعها إلى مراقبة الخروقات الأخلاقيّة .
- ضرورة تكثيف النّدوات والمؤتمرات العلميّة المتخصصة الّتي تناقش ميادين الأخلاق خاصّة الأخلاق التطبيقيّة .

رأى كانط أنّ تأسيس الأخلاق عمل يفوق في أهميّته نظريته في المعرفة ، بقدر ماتفوق الغاية في أهميّتها الوسيلة ، لأنّ العلم بما فيه من حتميّة عليّة لم يترك مكانًا لحريّة الفعل البشري أو التحكم الإلهي ، وهو ما هدّد الأخلاق والدين ، وبالتّالي ينبغي العودة للأخلاق بنوع من الوعي والحزم والشّجاعة في إعمال العقل .

إذا كان الحديث عن مسألة أزمة أخلاقيّة ، فهي لا تقتصر على مجتمع معيّن بل هي مسألة تعاني منها الإنسانية ، حيث لا ينبغي أن نفجع بوجود أزمة أخلاقيّة ، فنحن نعيشها بدون شك لكن ينبغي الانشغال بكيفية تخطي ، أو الوقاية قبل العلاج من هذه المسألة ، وذلك بوضع ترسانة قويّة من القوانين ، وتفعيل القضاء .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر بالأجنبيّة :

1) EMM.KANT ,Critique de la Raison pure , Par J. Tissot , Librairie philosophique de ladrange , Paris , 1845/1846.

المصادر بالعربيّة :

1) ▫ ♪, ♀♣ø╒Ⅎ∂≈–♠♪º ┗╕, □╟,♪ fl●Ⅱ┗ ┗╟─╚ ’ ╟♪♣fi♀♣ŒⅡ.Ⅱ ÷Ⅳ fi●┤Ⅱ╒(
. » .Œº ÷.Œ‡ ╒Ⅱ♣º » ,–¶

2) ‡ ╒Ⅱ♣º » ,–¶º ┗╟─♣♠ ♠╒Ⅱ ♣♈ LJ♣º ╒Ⅱ flⅡ◄ ┗╟─╚ ▫ ♥▲♣fi♀♣ŒⅡ.Ⅱ » Ⅳ fi●,Ⅱ╒√
. 2008–╕ ♣È♠º 1÷

3) ▫ ╕ ◊ , ╕º fi♪╟♣»≈,■LJ , ┗♥♠º ▫ ♪Ⅱ╒♣ŒⅡ ┗╟─╚ fl♠╟♣ ♠♥ ŒⅡ.Ⅱ ÷Ⅱ fi●,Ⅱ╒√
. 2009 º 1÷ º ‡ ╒Ⅱ♣º » ,–¶

4) Δ●▲╚ –♠₡▫ ◙’n╟┤Ⅱ╒ æ–≈,Ⅱ∂≈▫ ′ ╒ ♠╕Ⅱ♣▫ ◙‘ ,■IJ..Ē╚º ÷Ⅱ fi●,Ⅱ╒√
. 2005 º 1÷ º “ LJ╚ “ ☼■ º –■♣▫ ♥─Œ╟♪–≈ŒP ┗╒╟‡╕Œ♪╟♪ ‹ ●▲╚

المصادر بالإنجليزيّة :

1) Micheal york , pagan Ethics paganisn as a world Religion , springer library of congress control number , amsterdam , noord holland ,the netherlands , 25 july 2013.

المصادر بالفرنسيّة :

1) Œ▲╟ŒⅡ♪ ‹ ●┤╟ ╟≈ŒP ‹ ♥╕♣€ ╒■ ¡ ■♪ «■╒▲♣ ┗╕■♣Δ≈Œº ▫ ♣─♣flⅡ╒≈ (
..≈┗♣ø╒■≈ ┗♣ŒⅡ‡,–■♣ € ╒Ⅱ∂≈«≈ ┗☼▲♣ ┗,″♪╟♣º ▫ IJ▲♣ ┗▲÷♪ ▫ I♣▲♣
. » .ŒP ÷ .ŒP ŒŒB╕º ▫ ♪Ē╟ĉ≈

2) » ,–¶º ‹ŒⅡ╟♣‹ ◙≈–ŒB›≈,■LJ º ‡ ╒Ⅱ∂≈› , ♥╕♣ ┗╟,♣●╒“ ╚È≈º –Ē♣ŒⅡ◙fl♠≈√
.1983 º1÷

3) ┗╒÷♣ ╒ŒⅡø◙♣–ŒP fl,♦ □♣»–╒●Œ‡♪ ╚●╟♣ ┗⊕♥♣º fl♠≈╕√□☺■♪ fl♠≈╕√
.2000 º÷.ŒP ┗●ŒⅡĉ≈–■┗♣

4) ▫ ◙◙┗╟─╚ (ø◙╟ā≈ «◙╟♣ ┗ ╒ ▫ ◙ ╕Ⅱ≈ŒⅡ ◙╟,♣●♣fl♥–,′ æ♠ º –╒» ╕Ⅱ√
.2002 º –╕Ⅱ,÷.ŒP » ●,♠♣º ╚╕◙╟♣■╒♪º ┗◙▲♣fl┗─º ▫ ◙◙─ŒⅡ♪

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر بالأجنبيّة :

1) EMM.KANT ,Critique de la Raison pure , Par J. Tissot , Librairie philosophique de ladrange , Paris , 1845/1846.

المصادر بالعربيّة :

1) ▫ ♪, ♀♣ø╒Ⅎ∂≈–♠♪º ┗╕, □╟,♪ fl●Ⅱ┗ ┗╟─╚ ’ ╟♪♣fi♀♣ŒⅡ.Ⅱ ÷Ⅳ fi●┤Ⅱ╒(
. » .Œº ÷.Œ‡ ╒Ⅱ♣º » ,–¶

2) ‡ ╒Ⅱ♣º » ,–¶º ┗╟─♣♠ ♠╒Ⅱ ♣♈ LJ♣º ╒Ⅱ flⅡ◄ ┗╟─╚ ▫ ♥▲♣fi♀♣ŒⅡ.Ⅱ » Ⅳ fi●,Ⅱ╒√
. 2008–╕ ♣È♠º 1÷

3) ▫ ╕ ◊ , ╕º fi♪╟♣»≈,■LJ , ┗♥♠º ▫ ♪Ⅱ╒♣ŒⅡ ┗╟─╚ fl♠╟♣ ♠♥ ŒⅡ.Ⅱ ÷Ⅱ fi●,Ⅱ╒√
. 2009 º 1÷ º ‡ ╒Ⅱ♣º » ,–¶

4) Δ●▲╚ –♠₡▫ ◙’n╟┤Ⅱ╒ æ–≈,Ⅱ∂≈▫ ′ ╒ ♠╕Ⅱ♣▫ ◙‘ ,■IJ..Ē╚º ÷Ⅱ fi●,Ⅱ╒√
. 2005 º 1÷ º “ LJ╚ “ ☼■ º –■♣▫ ♥─Œ╟♪–≈ŒP ┗╒╟‡╕Œ♪╟♪ ‹ ●▲╚

المصادر بالإنجليزيّة :

1) Micheal york , pagan Ethics paganisn as a world Religion , springer library of congress control number , amsterdam , noord holland ,the netherlands , 25 july 2013.

المصادر بالفرنسيّة :

1) Œ▲╟ŒⅡ♪ ‹ ●┤╟ ╟≈ŒP ‹ ♥╕♣€ ╒■ ¡ ■♪ «■╒▲♣ ┗╕■♣Δ≈Œº ▫ ♣─♣flⅡ╒≈ (
..≈┗♣ø╒■≈ ┗♣ŒⅡ‡,–■♣ € ╒Ⅱ∂≈«≈ ┗☼▲♣ ┗,″♪╟♣º ▫ IJ▲♣ ┗▲÷♪ ▫ I♣▲♣
. » .ŒP ÷ .ŒP ŒŒB╕º ▫ ♪Ē╟ĉ≈

2) » ,–¶º ‹ŒⅡ╟♣‹ ◙≈–ŒB›≈,■LJ º ‡ ╒Ⅱ∂≈› , ♥╕♣ ┗╟,♣●╒“ ╚È≈º –Ē♣ŒⅡ◙fl♠≈√
.1983 º1÷

3) ┗╒÷♣ ╒ŒⅡø◙♣–ŒP fl,♦ □♣»–╒●Œ‡♪ ╚●╟♣ ┗⊕♥♣º fl♠≈╕√□☺■♪ fl♠≈╕√
.2000 º÷.ŒP ┗●ŒⅡĉ≈–■┗♣

4) ▫ ◙◙┗╟─╚ (ø◙╟ā≈ «◙╟♣ ┗ ╒ ▫ ◙ ╕Ⅱ≈ŒⅡ ◙╟,♣●♣fl♥–,′ æ♠ º –╒» ╕Ⅱ√
.2002 º –╕Ⅱ,÷.ŒP » ●,♠♣º ╚╕◙╟♣■╒♪º ┗◙▲♣fl┗─º ▫ ◙◙─ŒⅡ♪

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر بالأجنبيّة :

1) EMM.KANT ,Critique de la Raison pure , Par J. Tissot , Librairie philosophique de ladrange , Paris , 1845/1846.

المصادر بالعربيّة :

1) ▫ ♪, ♀♣ø╒Ⅎ∂≈–♠♪º ┗╕, □╟,♪ fl●Ⅱ┗ ┗╟─╚ ’ ╟♪♣fi♀♣ŒⅡ.Ⅱ ÷Ⅳ fi●┤Ⅱ╒(
. » .Œº ÷.Œ‡ ╒Ⅱ♣º » ,–¶

2) ‡ ╒Ⅱ♣º » ,–¶º ┗╟─♣♠ ♠╒Ⅱ ♣♈ LJ♣º ╒Ⅱ flⅡ◄ ┗╟─╚ ▫ ♥▲♣fi♀♣ŒⅡ.Ⅱ » Ⅳ fi●,Ⅱ╒√
. 2008–╕ ♣È♠º 1÷

3) ▫ ╕ ◊ , ╕º fi♪╟♣»≈,■LJ , ┗♥♠º ▫ ♪Ⅱ╒♣ŒⅡ ┗╟─╚ fl♠╟♣ ♠♥ ŒⅡ.Ⅱ ÷Ⅱ fi●,Ⅱ╒√
. 2009 º 1÷ º ‡ ╒Ⅱ♣º » ,–¶

4) Δ●▲╚ –♠₡▫ ◙’n╟┤Ⅱ╒ æ–≈,Ⅱ∂≈▫ ′ ╒ ♠╕Ⅱ♣▫ ◙‘ ,■IJ..Ē╚º ÷Ⅱ fi●,Ⅱ╒√
. 2005 º 1÷ º “ LJ╚ “ ☼■ º –■♣▫ ♥─Œ╟♪–≈ŒP ┗╒╟‡╕Œ♪╟♪ ‹ ●▲╚

المصادر بالإنجليزيّة :

1) Micheal york , pagan Ethics paganisn as a world Religion , springer library of congress control number , amsterdam , noord holland ,the netherlands , 25 july 2013.

المصادر بالفرنسيّة :

1) Œ▲╟ŒⅡ♪ ‹ ●┤╟ ╟≈ŒP ‹ ♥╕♣€ ╒■ ¡ ■♪ «■╒▲♣ ┗╕■♣Δ≈Œº ▫ ♣─♣flⅡ╒≈ (
..≈┗♣ø╒■≈ ┗♣ŒⅡ‡,–■♣ € ╒Ⅱ∂≈«≈ ┗☼▲♣ ┗,″♪╟♣º ▫ IJ▲♣ ┗▲÷♪ ▫ I♣▲♣
. » .ŒP ÷ .ŒP ŒŒB╕º ▫ ♪Ē╟ĉ≈

2) » ,–¶º ‹ŒⅡ╟♣‹ ◙≈–ŒB›≈,■LJ º ‡ ╒Ⅱ∂≈› , ♥╕♣ ┗╟,♣●╒“ ╚È≈º –Ē♣ŒⅡ◙fl♠≈√
.1983 º1÷

3) ┗╒÷♣ ╒ŒⅡø◙♣–ŒP fl,♦ □♣»–╒●Œ‡♪ ╚●╟♣ ┗⊕♥♣º fl♠≈╕√□☺■♪ fl♠≈╕√
.2000 º÷.ŒP ┗●ŒⅡĉ≈–■┗♣

4) ▫ ◙◙┗╟─╚ (ø◙╟ā≈ «◙╟♣ ┗ ╒ ▫ ◙ ╕Ⅱ≈ŒⅡ ◙╟,♣●♣fl♥–,′ æ♠ º –╒» ╕Ⅱ√
.2002 º –╕Ⅱ,÷.ŒP » ●,♠♣º ╚╕◙╟♣■╒♪º ┗◙▲♣fl┗─º ▫ ◙◙─ŒⅡ♪

fi

04‘		01
04‘		02
05‘		03
08‘		04
13‘		05
18‘		06
22‘		07
25‘		08
26‘		09
42‘		10
43‘		11
45‘		12
48‘		13
55‘		14
58‘		15
64‘		16
68‘		17
73‘		18
77‘		19
86‘		20
87‘		21
88‘		22
91‘		23

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر بالأجنبيّة :

1) EMM.KANT ,Critique de la Raison pure , Par J. Tissot , Librairie philosophique de ladrange , Paris , 1845/1846.

المصادر بالعربيّة :

1) Micheal york , pagan Ethics paganisn as a world Religion , springer library of congress control number , amsterdam , noord holland ,the netherlands , 25 july 2013.

ملاحق

ملاحق

دراسة تطبيقيّة لعائلة أدويّة عصبيّة

بينزوديازيبين BZDS هي عائلة مركبات عضويّة مشكّلة من حلقة بنزينية مدمجة مع حلقة diazépin ، وهي تشكل عائلة أدوية عصبيّة تسمّى مضادّات الاكتئاب ، تستعمل في العلاج الطبي للإكتئاب ، والأرق وحالات الرّجفة والرعاش ، أو في حالة متلازمة نبذ الكحول .

الـ BZDS تعمل بالتّأثير على نظام الكبح في المخ ، على مستوى عصبونات GABA لوجود تكامل بنيوي بينها ، وبين مستقبلات GABA .

خطورة هذه الأدوية جعلتها تصنّف في عدّة دول على لائحة المخدرات ، وتسليم هذه الأدوية يخضع للوصفة الطبيّة .

معظم BZDS مصنّفة كمخدرات ، وهي توصف في استعمال خاص بسبب تأثيرها المخدر على المدمنين .

نمط التأثير :

الـ GABA هو المبلغ العصبي المثبط الأساسي للجهاز العصبي المركزي ، لتثبيته على مستوى مستقبلات الـ GABA يؤدي إلى دخول شوارد -Cl إلى المنطقة بعد المشبكيّة مؤديًا إلى فرط استقطاب المنطقة بعد مشبكية ، تعمل الـBZDS نفس عمل الـGABA بالتأثير على مستقبلات GABA لكن بفاعلية أكبر.

دواعي الاستعمال :

تأثير مخدر في حالة الإكتئاب .

يستعمل في بعض الحالات لإحداث نقص في الذاكرة ، في بعض حالات أزمة رعاشيّة التدخلات الجراحيّة.

أعراض جانبيّة :

منوم /مشاكل في الذاكرة /إضطراب في دورات النّوم ، وانعدام الأحلام /إختلاجات /إضطرابات قد تسبب في حوادث /غيبوبة/إدمان/عجز تنفسي.

ينصح الأطباء في حال العلاج بهذه الأدوية أن تكون مدّة العلاج قصيرة .

Classification des Benzodiazépines

BZD anxiolytique	diazépam	VALIUM®
	bromazépam	LEXOMIL®
BZD anxiolytique	oxazépam	SERESTA®
	chlorazépate	TRANXENE®
BZD anxiolytique	alprazolam	XANAX®
	lorazépam	TEMESA®
BZD sédative	Loprazolam	HAVLANE®
	flunitrazépam	ROHYPNOL®
BZD Apparentée sédative	zolpidem	STILNOX®
	zopiclone	IMOVANE®
BZD antiépileptique	clonazepam	RIVOTRIL®
BZD hypnotique	midazolam	HYPNOVEL®

.(1)

(1)https://fr.wikipedia.org/wiki/Benzodiaz%C3%A9pine 30/04/2016 17:39